

جامعة الأزهر  
كلية اللغة العربية  
الدراسات العليا - الآداب والنقد



أبو القاسم الشابي  
دراسة في حياته وأدبه

بحث مقدم

من

الطالب: فخرى أحمد حسن طمليه

١٩٧٤ - ١٩٧٣

| صفحة     |  |
|----------|--|
| ٤٠ - ١١١ | <u>الفصل الثالث : طابع شخصيته</u>      |
| ٤٠       | (١) التشائم                            |
| ٦٢       | (٢) فلسفة الموت عند ابي القاسم الشابي  |
| ٧٤       | (٣) موقف الشابي من شعبه                |
| ٨٨       | (٤) موقفه من الدين                     |
| ٩٥       | (٥) موقفه من القديم ودعوته الى التجديد |
| ١٠٧      | (٦) آثار الشابي الادبية                |

الباب الثاني : شعره وشاعريته

الفصل الاول :

|           |   |
|-----------|---|
|           | ١ - تجربته الشعرية                                  |
| ١١٣       | أ ( مفهومه للشعر                                    |
| ١١٨ - ١٢٦ | ب ( تأثيره بالمدارس الادبية المختلفة                |
| ١١٩       | (١) تأثيره بالادب العربي القديم                     |
| ١١٩       | (٢) تأثيره بالادب الاجنبية ومدرسة الديوان           |
| ١٢٠       | (٣) تأثيره بجماعة "أوبللو"                          |
| ١٢٣       | (٤) تأثيره بشعراء المهجر                            |
| ١٢٦       | ٢ - منزلته الشعرية :                                |
| ١٢٨       | ابو القاسم شاعرنا وسمعه عالمية                      |
| ١٣١ - ١٤٩ | <u>الفصل الثاني : اهم اغراض شعره وخصائصه الفنية</u> |

|     |                 |
|-----|-----------------|
| ١٣٠ | (١) الرثاء      |
| ١٣٣ | (٢) شعر الطبيعة |

صفحة

١٤٠

١٥٠

١٥٢

(٣) القزل

الختامه

المراجع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمته

ان كتابة بحث في موضوع ما في الادب العربي ، تقتضي وقوف الباحث طويلا ، متأملا مفكرا ، فهذا الادب عريق ، سر في أطوار متعددة ، وفي مراحل تاريخية تمتد الى اعماق التاريخ بدءا بالعصر الجاهلي وامتدادا في العصور التي لحقته حتى يومنا هذا . ولما كان القديم والوسيط قد عا ز على كثير من الابحاث / نوّهت بها ، وبينت عناصر القوة والاشراق فيها ، وبعض ما اعتراها في بعض عصورها من تخلف وجمود ، أحببت ان يكون بحثي في الادب العربي المعاصر ، الذي لا يزال يخطط طريقه نحو السمو والارتفاع ، ليعيد لهذا الادب فناءه مستفيد من منابع تاريخه الثرة ، وما وصلت اليه حضارة الانسان المعاصر في شتى مجالات الحياة ، خاصة الادبية منها ، ولأن الأمة العربية تواجه التحدي ، فلا بد للأدب ان ينهض بدوره في توعية الناشئة من ابناء الأمة ، يصور لها الواقع ، بل وينفذ فيه ، ليكشف عن مكامن الهداء ، ينير العقل ، ويفذ العاطفة ، ويهدي الى الدرب ، ووقفت هنا أجول ببصرى بين أدباء العصر وشعرائهم ، ممن عني بقضية الأمة ، وقضية الحياة ، فوجدت الكثير واخترت من بينهم - أبا القاسم الشابي - ليكون موضوع دراستي ، لما لمست عند الشاعر من توقد العاطفة ، ورشف العس ، ومن اهتمامه بقضية شعبه الوطنية تجلّت في العديد من قصائده ، دعا فيها قومه للأخذ بأسباب القوة ، وأن الحياة لمن تنقاد لهم ، الا اذا تحررت فيهم الارادة ، وشعدوا العزم ، ثم تلك القصائد التي جاسر فيها

المستعمرين عداً ، وأذرعهم بالويل والثبور من صدوة الشعب ،  
عذا الجانب من جوانب شعر أبي القاسم نحو الذي يعجبني .  
بل قد يكون نحو الحافظ الذي دفعني الى دراسته . ولا يعني  
عذا أن ابا القاسم قد تجاوز السلبيه في كل قصائده فهناك  
قضايا وقفت عندها وناقشتها ، ولعل أهمها سياط الغضب التي  
لمسح بها الشاعر شعبه ، بعد أن أيقن انهم غير مصيخيبي  
المسح له ، ثم ناقشت بعض النواحي السلبيه في رومانسيته  
التي تجلّت في عزله في الخاب وايشاره الحياه فيه ، عسن  
الحياه في قلب المجتمع الذي منه نبت وفيه نما .

وعسى أقف على المؤثرات العامه التي طبعت شعر أبي  
القاسم ، كان لا بد من الوقوف ولو عنيفه عند بيئته العامه ،  
وما اعتراها من اسباب الضعف ، وما جرّه عليها المستعمر من  
ظلم . ثم وقفت عند بيئته الخاصه ، ومراحل حياته ، وما أصابه  
فيها من احداث أثرت في سير حياته ، ونسجت انماط تفكيره ،  
فعرضت فلسفته في الصوت ، وموقفه من شعبه ، ودعوته الى التجديد ،  
وفيرتها من انماط السلوك التي عاشها .

ولما كان الشعر هو الوعاء الذي ضمّنه كل هذا عرضت  
لنماذج من شعره وبيّنت تجربته الشعريه وروافدها .  
واني لأرجو أن أكون قد وفقت ، واتمنى أن أكون في نهجي  
قد اتسمت بقسط من الموضوعية ، وبعد عن الانحياز للشاعر أو التعامل عليه .

فخرى أحمد حسن طمليه

١٩٧٤ / ٤ / ٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله الذي جعل العلم نوراً  
والعلم نوراً يضيء القلب

### الباب الأول

- ٠١ بيئة ابي القاسم العامة
- ٠٢ بيئة ابي القاسم الخاصة
- ٠٣ طباح شخصيته

## الفصل الأول

### بيثة ابي القاسم العمامة

#### تونس تحت وطأة الاحتلال الفرنسي

##### أ ) قصة الاحتلال :

قبل ان يحتل الاستعمار الفرنسي تونس ، كانت خاضعة للحكم العثماني ، يقوم بادارتها حكامها الذين عرفوا باسم ( البايات ) . وكان هؤلاء هم الحكام الحقيقيون للبلاد ، ولم يكن للدولة العثمانية الا السلطة الاسمية .

قوى حكام تونس علاقاتهم بالدول الأوروبية ، وكانت تربطهم معاهدات تجارية في نفس الوقت الذي كانت تربط فيه تونس بالسلطة العثمانية بعلاقات ود وصداقة . فكانت تونس تقدم للدولة المساعدة في حروبها ضد اعدائها .

وحين استشرى الاستعمار الغربي ، وسيطرت فرنسا على الجزائر اخذت تحاول بكل جهد احتلال تونس ، وكان ينافسها في ذلك ايطاليا وانجلترا .

حاول ( البايات ) ان ينسجوا علاقاتهم ، ولكنهم تورطوا في علاقاتهم المالية بالاجانب ، واستعانوا بالشركات الفرنسية ، والايطالية والانجليزية في مشروعاتهم ، وبهذا مهدوا الطريق امام المستعمرين ليحققوا اطماعهم في البلاد .

والاوضاع في تونس في هذه الفترة كانت شبيهة بتلك التي سادت في مصر في عهد الخديوي اسماعيل ، وكانت النتائج التي ترتب عليها متماثلة في البلدين ، فقد اهتم رجال الحكم في تونس بالجيش والاسطول ، وفي سنة ١٨٤٠ ، أنشأ (احمد باي) مدرسة لاعداد ضباط الجيش ، واستخدم العديد من الضباط الاجانب في سبيل ذلك ، وهذا يذكرنا باعمال محمد علي في مصر .

بالاضافة الى هذا التيار الخريبي الذي حاول (البايات) جلبه الى تونس كان جامع الزيتونة ، يقوم بدوره الثقافي العربي الاسلامي ، وهذا يذكر بالدور الذي لعبه ويلعبه (الازهر الشريف) في مصر في الحفاظ على التراث ، والتمسك باركان الدين الحنيف .

كما حاول (البايات) تدسين نظام الادارة المحلية والقيام بالمشاريع العمرانية ، الا ان ذلك وبسبب سوء الاداره ، وكثرة الانفاق على القصر الحاكم ادى الى تورط تونس ، في ديون لم تستطع لها سدادا ، وادى ذلك الى الاشراف المالي على مقدرات تونس عن طريق (لجنة دولية) ، وبذلك اصبح الطريق مهيدا لاحتلال تونس .

كانت الدول الطامعة في احتلالها ثلاثا : فرنسا ، انجلترا ، وايطاليا ، حاولت كل منها جاهدة الحصول على امتيازات تتيح لها التحكم بتونس واحتلالها ، فقد منح الباي (محمد الصادق) الشركات الفرنسية امتيازات السبرق والمياه والخطوط الحديدية كما ترك للمفوضين حرية فتح المدارس ، ومنح رعيايا فرنسا امتيازات تجارية .



أما انجلترا فكان يمثلها في تونس خلال المستينات من القرن التاسع عشر ، ممثل دبلوماسي ، استطاع ببراعته ان يجعل لدولته مركزا ممتازا في البلاد التونسية ، وان يحصل دون تقوية النفوذ الفرنسي ، وانفراد فرنسا بالتدخل في شؤون تونس ، واستطاع الممثل الدبلوماسي الانجليزي ان يحصل لبلاده على عدة امتيازات لاقامة مشروعات في تونس ، مثل امتياز سكة الحديد الجزائرية التونسية ، وامتياز تأجير واستغلال مساحات كبيرة من الارض الزراعية وكان القادة الانجليز يشرفون على تدريب الجيش التونسي .

وأما ايطاليا المناقصر الثاني لفرنسا ، كانت ترى ان تونس هي جزء من الامبراطورية الرومانية القديمة ، وانها حق لايطاليا ، كما كانوا يرددون بأن تونس امتداد طبيعي لصقلية ، واستطاع ممثلها المقيم في تونس ان يعقد معاهدة مع الحكومة التونسية منسج الايطاليين بموجبها الكثير من الامتيازات للعامل في تونس ، في المجال الصناعي والتجاري والزراعي وفي التعدين ، بالاضافة الى امتيازات اخرى تتعلق بحرية التنقل والتملك .

ولكن كيف استطاعت هذه الدول ان تتفق فيما بينها ؟؟ أو

كيف استطاعت فرنسا ان تنال بنيتها في احتلال تونس؟

لم تكن المشكلة امام الدول الاستعمارية هي كيفية التغلب على الدول الصغرى ، انما المشكلة هي ارضاء شركائهم من عصاية المستعمرين ، قبل القيام بأى عمل منفرد .



لقد سعت فرنسا للحصول على موافقة إنجلترا بالقبول ،  
وانتهزت فرصة احتلال بريطانيا جزيرة قبرص ، اشارت فرنسا  
الموضوع في اثناء انعقاد مؤتمر الدول الكبرى في بريسن برئاسة  
(بسمارك) ، فاتفق على الاعتراض إنجلترا اي تدخل فرنسي في  
تونس ، مقابل عدم اعتراض فرنسا على احتلال بريطانيا لقبرص ،  
واستغلت بريطانيا هذه الاتفاقية لتطلق يد ها في مصر .

ولكن اذا استطاعت فرنسا كسب موافقة إنجلترا ، فكيف استطاعت  
كسب موافقة ايطاليا ؟ ظل الصراع عنيفا بين الدولتين ، وحاول  
ممثل كل دولة الحصول على امتيازات اكبر لدولته بمختلف الطرق  
ولكن فرنسا اوحست لايطاليا ان بإمكانها ان تحتل طرابلس (ليبيا)  
وان فرنسا لن تتدخل في ذلك .

### ب) مبرر الاحتلال :

والآن بعد ان استطاعت فرنسا ارضاء شريكها باقتسام الغنيمة  
اصبحت تنتظر المبرر مهما كان ضعيفا لتحتل تونس ، فقد حدث  
سنة ١٨٨٠ ان حاولت احدى الشركات الفرنسية شراء ضيعة كبيرة  
في تونس لاستغلالها ، لكن (البساي) لم يملكها من ذلك ، فاعتبرت  
فرنسا ذلك عملا عديما ضد ها .

وفي ١٦ ابريل سنة ١٨٨١ ، ابلغت فرنسا (البساي) ان الجنود  
الفرنسيين سيغزبون الحدود التونسية لمطاردة قبعض القبائل الجزائرية  
الناشرة ، والتي التجأت الى الاراضي التونسية ، وطلبت منه ان  
يتعاون معها لاقرار الامن والنظام .

وفي ٢٩ ابريل من نفس السنة عبر الجنود الفرنسيون الحدود واحتلوا (الكان) و (طبرقه) بدون مقاومة ، كما انزلت فرنسا بعض قواتها في ميناء - بنزرت - التونسي .

وبعد احتلالها تقدموا صوب العاصمة ، وهناك قدم السفير الفرنسي الى (الباي) نسخة من المعاهدة المطالب منه التوقيع عليها ، واعطى (الباي) مهلة لبضع ساعات ليقيم بتوقيعها ، فما لبث ان وقعها ، وهكذا تمت السيطرة الفرنسية على تونس .

### ج) نص الاتفاقية :

البند الاول : نص على تأييد وتجديد جميع المعاهدات السابقة بين الجمهورية الفرنسية (بباي) تونس .

البند الثاني : تحتل القوات الفرنسية المراكر التي تراها صالحة لاستتباب النظام والامن بالحدود والسواحل ، ويحول هذا الاحتلال عندما تقرر السلطان الفرنسية والتونسية ان الادارة المحلية قادرة على المحافظة على الامن .

البند الثالث : تتعهد فرنسا بحماية (الباي) من اي خطر يهدد ذاته أو مملكته .

البند الرابع : تضمن فرنسا تنفيذ المعاهدات المعقودة بين تونس والحدول الاخرى .

البند الخامس : يمثل فرنسا في تونس وزير مقيم للاشراف على تنفيذ احكام هذه المعاهدة .

البند السادس، يقسم الممثلون الدبلوماسيون لفرنسا في البلاد  
الاجنبية برعاية مصالح تونس في هذه البلاد .

البند السابع : تتفق الدولتان على وضع نظام مالي للوفاء بواجبات  
الدين العام .

وقد وقع هذه المعاهدة كمل من (محمد الصادق )  
بأى تونس ، والجنرال (بيرباد) المفوض من رئيس الجمهورية  
الفرنسية . (١)

### ج ) تونس بين اثنياب الذئاب :

احتلت فرنسا تونس باسم النظام والامن كما نص عليها البند  
الثاني من الاتفاقية ، ولكنها اعتدت اول ما اعتدت على النظام  
الديمقراطي للبلاد ، فلم يكن من اليسير عليها ان تستحوذ على  
مقاليد الحكم ، ما دامت السلطة التشريعية بيد اصحاب البلاد  
الشريعين ، فألغت الدستور ، والمجلس التشريعي ، واصدرت  
سلسلة من القوانين والتشريعات التي تمكنها من السيطرة على  
البلاد ، واستنزاف دوائها ، والمهيمنة على مقاليد الحكم فيها ،  
فاعتدت على حريات الافراد والجماعات واستهزت بحقوق التونسيين  
وامتهنت كرامتهم .

---

(١) د . شوقي الجمل ، تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ، مكتبة الانجلو

المصرية ، ١٩٧١ ، ص ٤٧٦ .

وجريا على الخطة التي اتبعتها فرنسا في معوالكيان التونسي  
وانتزع السلطات من يد اصحاب البلاد عمدت الى شل الهيئة  
السوزارية ، فألغت ناصب الوزارات الوطنية التي كانت موجودة قبل  
الاحتلال ، ولم يبق منها غير منصب الوزير الاكبر ، ووزير التعليم  
والاستشارة ، ثم اضافت اليها منصب وزير العدل سنة ١٩٢١ ،  
ومنصب وزير الشؤون الاجتماعية سنة ١٩٢٥ .

وليس لهذه الوزارات التي يتولاها التونسيون اية سلطة  
فعلية ، فهي شياكل لا روح فيها ، ووضع بجانب كل وزير تونسي  
مدير فرنسي بيده السلطة الحقيقية ، واما المقيم العام فيعتبر  
رئيس الوزراء الفعلي ، ووزير الخارجية في الوقت نفسه . أما  
بقية المصالح الاخرى من مالية ، ومصارف ، واشغال عامه ، وبريد  
واقتماد الخ ، فيتولاها مديرون فرنسيون . (١)

وقد جرّد مدراء " النواحي " من كل نفوذ ، اذ وضع بجانبهم  
موظفون فرنسيون ينوبون عن المقيم العام ، ويبدونهم كل سلطة .  
والمقيم العام بوصفه رئيسا للوزراء ، فهو الذي يصدر  
القرارات ويوقعها اما الوزراء التونسيون ، فليس لهم اية سلطة  
مهما ضوّلت ، ويقتصر عملهم على حضور جلسات مجلس الوزراء  
الذي يعقده المقيم العام مرة كل شهر .

---

(١) عبد الحميد مسعود الجزائري ، المغرب العربي وكفاحه ، القاهرة ،

دار الجامعة للطبع والنشر ، دون تاريخ ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

د ( اعتداء فرنسا على السلطة القضائية التونسية )

امما اعتداء فرنسا على السلطة القضائية ، فيتجلى في انشاء  
محاكم فرنسية تتولى القضاء الى جانب المحاكم التونسية ، ولهذه  
المحاكم الفرنسية اختصاص واسع يشمل المنازعات بين الفرنسيين  
والاجانب اوبين هؤلاء والتونسيين ، وكذلك جميع المنازعات  
المتعلقة بالعقار المسجل ، وهكذا انتزعت فرنسا جزءا كبيرا من  
سلطتها ، ولم يبق من اختصاصها الا ما يتعلق بالتونسيين  
وحدهم اوبالعقارات غير المسجلة ، هذا فضلا عن ادارة المحاكم  
التونسية التي يتولاها رؤساء فرنسيون .

وقد جعلت الجرائم السياسية من اختصاص المحاكم الفرنسية  
وحددها منذ سنة ١٩٢٦ ، فالوطنيون التونسيون الذين تتعلق بهم  
قضايا سياسية ، لا يحاكمون امام محاكم تونسية ، بل يختص بالنظر  
في اممرهم القضاء الاستعماري .

وهكذا خرجت هذه المحاكم عن حدود اختصاصها الطبيعي  
وهو تحقيق العدالة ، فأصبحت أداة تستخدم لارهاب الوطنيين  
والقضاء على الروح القومية .

ولقد بلغ استهتار الفرنسيين بالقضاء والحريات العامة الضرورية  
للافراد الى حد ان اصدرت السلطة الفرنسية امرا بتاريخ ٦ مايو  
سنة ١٩٣٢ ، يخول المقيم العام حق اعتقال اي فرد لمدة سنتين  
قابلية للتجديد دون اية محاكمة ولو صوريه (١) .

(١) عبد الحميد مسعود الجزائري ، المغرب العربي وكفاحه ، القاهرة ،  
دار الجامعة للطبع والنشر ، دون تاريخ ، ص ٨١ .

هـ ) فرنسا تضع يدها على عناصر الانتاج التونسي :

٩ ان فاية الاستعمار هي الاستيلاء على ثروة البلاد المستعمرة (بضم الميم) وتوجيه السياسة الاقتصادية فيها من انتاج وتداول وتوزيع لصالح دولة الاحتلال على حساب البلد المحتل ، وللوصول الى هذه الغاية تضع النظم والقوانين الملتوية وتتخذها أداة لتنفيذ اغراض الاستعمار الاقتصادية .

وقد بادرت فرنسا منذ بداية الاحتلال الى وضع يدها على عناصر الانتاج والتداول . واطلقت يد الفرنسيين والاجانب في تونس مهينة لهم سبيل الاقتصاب ، مما ادى الى اغتلال التوازن الاقتصادي وانخفاض مستوى المعيشة بين الاهالي وقد شمل التدخل الفرنسي من هذه الناحية جميع فروع الانتاج الثلاثة : الزراعة والصناعة والتجارة .

ولا جيل ان تسيطر فرنسا تمام السيطرة على الناحية الاقتصادية في البلاد وجهت همها الى الاستيلاء على الاراضي الزراعية ، فاصدرت التشريعات المختلفة ، لانتزاع الاراضي من يد التونسيين واقرار الفرنسيين بها ، فأصبح هؤلاء هم المتحكمين في حياصة البلاد الاقتصادية . وبذلك اصبح الشعب التونسي مهددا بالفقر امام هذه القوى التي تسندها السلطة التشريعية والتنفيذية في البلاد .

و ) فرنسا تعمل على محو الروح القومية ومحاربة اللغة العربية :

اتجهت سياسة فرنسا التعليمية منذ الاحتلال الى محو الروح القومية وذلك بمحاربة اللغة العربية ، والاستعاضة عنها باللغة

الفرنسية ، وبتطبيق برامج خاصة لاختراع الناشئة عن قوميتها العربية ، وقطع الصلة بينها وبين ماضيها وتاريخها لتتمكن من ادماجها في العنصر الفرنسي .

كانت اللغة العربية هي لغة التعليم قبل الاحتلال ، وكانت جامعة الزيتونة وغيرها من الكتاتيب والزوايا التي تشتمل على كثير من التلاميذ الذين يتلقون الثقافة العربية على الطريقة القديمة ، الى جانب مدرسة حديثة كبرى يتلقى فيها الطلاب العلم العصرية واللغات الاجنبية .

وفي سنة ١٨٨٢ أسس الفرنسيون ادارة العلوم والمعارف ، ووضعوا برنامجا لانشاء مدارس ابتدائية فرنسية للاوروبيين والعرب ، على غرار المدارس الموجودة في فرنسا نفسها ، ولم يكن للغة العربية اى وجود في هذه المدارس ، وكانت نظرية مدير العلوم والمعارف وقتذاك - وهو موظف فرنسي - ان ينشئ شبكته من المدارس في كل المدن يؤمها الاطفال سواء كانوا تونسيين أو من الجاليات الاجنبية الاخرى لينشأوا نساء فرنسيه صرفة . (١)

وخلالها القول ، ان السلطة الفرنسية اتجهت في سياستها التعليمية الى محاربة اللغة العربية ، من جهة ، وفي سبيل فرنسة الناشئة من جهة اخرى .

---

(١) عبد الحيد مسعود الجزائرى ، المغرب العربي وكفاحه ، ص ٨٤ .



و ( فرنسا تهمل الناحية الصحية في القطار التونسي :

ولم تقم السلطة الفرنسية بواجبها من الناحية الصحية ، بل اهملته كبل الاعمال ولم تخصص في الميزانية التونسية من الاعتمادات ما يكفي القيام بشئون الصحة ، ويتضح ذلك من ضآلة عدد المستشفيات وعدد الاسرة بها ، وانعدام الاجهزة الطبية اللازمة .

ولم تكن السلطة الفرنسية تعير الاسعاف العام اي اهتمام ، فوسائل مقاومة الامراض المعدية لا تكاد تذكر . واكثر الامراض فتكا كان مرض السّل ومع ذلك لم تكن توجد مصحة واحدة لمعالجة هذا المرض .

كما ان حماية الطفوله كانت معدومة ، ولم تتعهد السلطة الفرنسية الشيوخ والعجزة من التونسيين ، بينما تجددها قد خصصت للفرنسيين مؤسسات متعددة تنفق عليها من الميزانية التونسية .

وكثر نسبة الوفيات في تونس بسبب اهمال السلطة الفرنسية لشئون الصحة ، وخاصة مقاومة الامراض الوبائية ، والامراض المعدية وهو راجع كذلك الى الفقر ، وقلة التغذية السليمة يعانيها الشعب من جراء سياسة فرنسا الاستعمارية .

في هذا الوسط ، وفي لجة هذه المعاناة عاشر الشعب التونسي ، وعاشر شاعره ابو القاسم الشابي ، يجاهر الاستعمار عداءه ، ويدعو الشعب الى الثورة ، يدعوه الى الحياة عن طريق الايمان بالحياة والايمان بالحق ، فايسان الشعوب المهضومة الحقوق

كفيل ان يرد لها حقوقها ، واتحاد الامم المخلوبة على امرها  
قمين ان يرد الى الشعوب حريتها ، وما بعد الليل البهيم ،  
والظلام المسالك الا الفجر المشرق وانهار الساطع .

ان الجرائم التي ارتكبتها المستعمر لا يمكن ان يقبلها كل من  
يشعر بكرامة انسانيه ، فنهض الشعب التونسي وقام الاحتفال  
وقارعه على صوت شاعره .

اذا الشعب يوما اراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر  
ولا بد لليل ان ينجلي ولا بد للقيد ان ينكسر

ففي سنة ١٩٢٠ انشأت الشبيبة التونسية - حزب الدستور -  
وكان برنامجها يهدف الى اقامة نظام ديمقراطي ، وتوطيد الحكم  
في القطر التونسي على اساس دستوري . اتخذت فرنسا مسن  
التدابير ما يكفي لقمع كل حركة فاعتقلت عام ١٩٢٥ من الزعماء  
التونسيين ما اعتقلت ، ونفت من نفت ، وأرهقت الشعب بضروب  
عجيبة من الاقذار والاذلال .

وفي عام ١٩٣٠ ، ضاعفت فرنسا ضغطها على الشعب التونسي  
فتجمع الشعب التونسي ، وآمن بأهمية تضافر جهوده اذا اراد  
قهر المستعمر فأنشأ حزب - الدستور الجديد - الذي ظهر  
على مسرح السياسة التونسية عام ١٩٣٤ أي في السنة التي قضى  
بها ابو القاسم نحسه .

يتضح من هذا العسفر التاريخي ان تونس لم تعرف الراحة ولا الاستقرار ولا الرخاء منذ منتصف القرن الماضي ، ولكن الحركة الوطنية التونسية بدأت تظهر بوضوح بعد عام ١٩٢٠ حين اسست الشبيبة التونسية حزب - الدستور - واذا عرفنا ان عبي القاسم انما تفتح بين عامي ١٩٢٥ ، ١٩٢٢ ، اي في عهد كانت تجتاز فيه بلاده أمر وأقصى مرحله من مراحل تاريخها الحديث ، وفي هذه المرحلة بدأ الشباب التونسي يتصدى / للفنزوينازله ، ذلك هو الجو المكهر الذي احباط بشاعرنا ، وتلك هي الاوضاع الاجتماعية القاسية المؤلمة التي نما في وسطها احساسه . فكان لا بد ان تحدث فيه اعمق الاثر ، وهو الشاعر المرهف الحس ، المتوقد المشاعر ، وكان لا بد ان يؤثر فيها ، فقال من الشعر ما ساعد على تأجج الثورة ، وقال من الشعر خائبا شعبه على الصمود والتحدى ، بل ولم يقف به الحد الذي هنا بل ساهم عمليا في مظاهرات الاحتجاج التي كان يقودها ضد الاحتلال .

\* \* \*

## الفصل الثاني

### بيئة أبي القاسم الخاصة

#### ١ - مولده ونشأته :

ولد ابو القاسم بن محمد بن ابي قاسم بن ابراهيم الشابي في الثالث من صفر سنة ألف وثلاثمائة وسبع وعشرين هجرية ، الثالث من نيسان (ابريل) سنة ألف وثمانمئة وتسع ميلادية . في قرية الشايبة من اعمال توزر من الجنوب التونسي ، وهذه المنطقة تدعى بلاد الجريد - ومعناها بلاد النخيل - " ومنطقة الجريد في الجنوب التونسي عبارة عن اربع واحات هي : توزر ، نفتا ، المديان ، والحمه ، وكلها تقع في البرزخ الذي يفصل السبختين الكبيرتين : الجريد وفرسه ، على تخوم الصحراء وقفارها المترامية ، وهذه الواحات الاربع تلفت الانظار ، وتستهوئ الاثدة لما هي عليه من سعة ، وما تتمتع به قراها الكبيرة من اهمية اذ ان مياهها فزيرة وافرة ، ونباتاتها واشجارها باسقة رائحة ، ومواقفها جميلة وأخاذة" (١)

نشأ ابو القاسم في بيت علم من اسرة محافظة ، فأبوه محمد الشابي درس على الشيخ محمد عبده ، واجيز من الازهر الشريف ولسي القضاء ببعض جهات البلاد التونسية ، وكانت اولس البلاد التي عمل بها (سليانه) كان ذلك بتاريخ ١١ ربيع أول ١٣٢٨ هـ ، ٢٢ آذار (مارس) ١٩١٠ م بعد ولادة ابي القاسم بسنة تقريبا ، ثم عين في قفصه في ٢١ رمضان

(١) عبد اللطيف شراره ، الشابي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٧٣ ، ص ٨ .

١٣٢٩ هـ ، ١٤ سبتمبر ١٩١١ ، ثم انتقل الى قابس في ١٥ صفر ١٣٣٢ هـ ،  
ثم انتقل بعد ذلك الى جبال تاله في ٢٢ رجب ١٣٣٥ . وكان  
ابو القاسم يتنقل مع والده في كل المناطق التي عمل بها (١) ، وبذا  
يكون ابو القاسم قد طوَّف في مختلف انحاء البلاد التونسية ، وعاش حياة  
شعبه ، واطلع عليها في ادنى البلاد واقصاها ، وكان لذلك كله اثر  
على حياة ابي القاسم ، وعلى صنع اتجاهاته ، فمن ضيق اختلاطه بأبناء  
شعبه في نواحي البلاد المختلفة ، اطلع على كل المآسي التي كان  
يحياها هذا الشعب ، وشاهد مظاهر التخلف والبؤس التي عاناها ابناؤ  
الامة .

## ٢ - ثقافته :

درس الشاعر في اول مراحل حياته في الكتاتيب ، دخلها وهو  
في الخامسة من عمره ، وحفظ القرآن بكامله وهو في التاسعة من عمره  
وتولى والده تثقيفه وتدرسه حتى بلغ الحادية عشرة .

وفي بداية الثانية عشرة من عمره ، في ١١/١٠/١٩٢٠ التحق  
بكلية الزيتونة واستمر يدرس بها العلوم الدينية واللغوية حتى تخرج فيها  
سنة ١٩٢٨ ، وبذلك دخل ابو القاسم حين دخل جامع الزيتونة حضم  
الحياة الواسع في عاصمة بلاده ، وتمتع بالحسرة المطلقة ، فهو يختلف  
الى دروس الجامع ، حتى اذا كان وقت الفراغ امضى الساعات الطوال  
بمكتبة الخلدونية ، او بمكتبة قدماء الصادقية ، وفي العاصمة كتب اول قصيدة  
له ، ويقول اخوه الامين الشابي : أن اول قصيدة قالها الشابي كانت

---

(١) عامر فديرة ، محاولة جعل اطار لترجمة الشابي ، مجلة الفكر التونسية س ٥ ، ع ٣  
ص ١٣ - ٢٥ ، ورد في كتاب دراسات عن الشابي ، اعداد ابو القاسم محمد كرو  
ص ٤٢ - ٥٥ .

في الخامس عشر من ذي الحجة ١٣٤٢ ، ١٨ يوليو ١٩٢٤ ، فاذا علمنا ان الشابي ولد في عام ١٩٠٦ يكون الشابي قد بدأ ينظم الشعر وهو في الخامسة عشرة من العمر .

وكانت اولى قراءاته الادبية ما انتجه أدباء المهجر من امثال ( جبران ، ونصيمه ، وأبي ماضي ) . وعكف ايضا على دراسة الانتاج الادبي القديم في عيون كتبه ، كالأغاني ، وصبح الاعشى ، ونفسح الطيب ، والكامل ، والامالي ، والعمدة ، والمثل السائر ، والصناعتين وغيرها .

وفي سنة ١٩٢٨ حاز ابو القاسم الشابي على شهادة التطويح التونسية ، وبعد هذا انتسب الى مدرسة الحقوق التونسية ، فتخرج منها سنة ١٩٣٠ .

### ٣ - ابو القاسم الشابي كان يجهل اللغات الاجنبية :

كان ابو القاسم الشابي يجهل اللغات الاجنبية ، وتمنذر عليه قراءتها بلغاتها الاصلية فلجأ الى المترجمات ، فقرأ تاريخ الادب الغربية واطلع على فنونها واكثر من قراءة "لامرتين" و "جوته" .

وقد اصبح المصاحف بالادبين الفرنسي والانجليزى واسما فصيح يتحدث فيهما كما يتحدث من نال اكبر الشهادات في الادب الغربية . (١)

ويؤكد هذه الحقيقة الدكتور محمد مندور حين يقول "ومن الغريب انني عندما طالمت بمعرض قصائد الشابي ، ومقالاته النقدية ، كنت اجسزم

---

(١) ابراهيم ابو رقمة ، حياة امسي القاسم الشابي ، مقال ورد في كتاب دراسات عن الشابي ، اعداد ابو القاسم محمد كرو ، ص ٢٢ .

بأن هذا الشاعر، قد كان يجيد لغة اجنبية تمكنه ، لا من الالمسام  
بآداب الغرب، فحسب، بل من تذوقه لتلك الاداب واحساسه بها ، وتمثله  
لها ، ثم عدت الى ما كتب عن تاريخ حياته ، فأخذتني الدهشة كل  
الدهشة عندما علمت انه لم يكن يعرف اية لغة اجنبية ، وانه تخرج من  
جامع (الزيتونه) بتونس ، ثم التحق بكلية الحقوق التونسية ، وتخرج منها  
سنة ١٩٣٠ ، ولكنه لم يتعلم لغة اجنبية ، وعندئذ ادركت اننا امام احدى  
تلك العبقريات التي لا يستطيع البشر لها تفسيراً ، لانها نعمة من الله . (١)

#### ٤ - كان ابو القاسم محباً للمطالعة :

يقول الاستاذ ابراهيم ابو رقعة ، وهو احد من عرف الشابي  
كان عام ألف وتسعمائة وثلاثة وعشرين ، وكنت فيه كثير التردد على مكتبة  
الخلدونية مساءً غالب كل يوم ، وكنا معشر الرفاق بالمكتبة نفرا يعد فوق  
الاصابع ، واعني بالرفاق الذين ينذر تخلفهم ، وكان من بينهم فتي يدخل  
علينا بخطى سريعة تدل على الحيوية والنشاط ، مجهول من الجميع ،  
يأخذ كرسيه بقاعة المطالعة ، بعد ان يحيي المطالعين بصوت خافت لا  
يكاد يسمعه القريب اليه .

ثم يقف بجانبه قسم المكتبة ليحضر له ما يأمر بطلبه ، واذ  
المطلوب مجلدات ضخام وكتب تحسار في حملها وتقليب اوراقها بسداد  
الصفيرتسان ، ثم ينكب على دراستها فيرحتفل بمن حوله ، ولا ينصرف  
بصره من مطالعة كتاب الا الى غيره ، فكان وقتئذ لسان حال المطالعين

---

(١) د . محمد مندور ، الشابي روح ناضرة ، مجلة المجلة ، القاهرة ع ٦ ،  
يوليو ١٩٥٢ . ورد في كتاب دراسات عن الشابي ، اعداد ابو القاسم  
كرو ، ص ٩٦ .

يقول : مالك وهاته الكتب ، وأين لشاب مثلك ان يفهم ما ترمي اليه  
وما تحويه اسفارها الضخام ؟ وكان البعض الاخر ينظر اليه نظرة المشفق  
الآسف على ضياع وقت هذا الفتى الذى لا يزال الشباب امثاله بالانهج  
والطرقات ، وعكذا كان ذلك الفتى شغل المطالعين ، فهم يتحدثون عليه  
عسا ، ولا يخل احد عم ان يشير اليه اشارة الهازى الساخر . (١)

## ٥ - مراحل حياته الثقافية :

ويستمر الاستاذ ابراهيم ابو رقمة في حديثه عن الشابي فيقول  
"حدثني ابو القاسم عن نفسه ان الطور الاول الذى قطعه من حياته  
الفكرية هو التمسك والانقطاع الى العبادة ، وانه كان يقضي اليوم أو  
اليومين لا يخرج من مصبده ، وربما مكث الزمن الطويل بدون طعام أو  
شرب تعذيبا للنفس ، وكرها لهاته الدار ، وكان يؤمن أن يأتيه نبي  
وحدثه طائف يخبره بالغيب .

ثم فارق ابو القاسم هذا الطور من حياته الفكرية بمناسبة وروده على  
الجامع الاعظم ، وفي يقيني انه بقي اثر بنفسه من تلك التعليقات التي  
قرررها حجة الاسلام الفزالي ، والشمس البترى ، وحيي الدين بن العربي ،  
ثم تغيرت عقلية ابي القاسم بعد اطلاعه على الادب المعاصر الذى انتجه  
ادباء عصر المصاعرين ، واطلاعه على ادب المهجر ، وتأثره كثيرا بزعميم  
المدرسة المهجرية جبران خليل جبران .

(١) ابراهيم ابو رقمة ، حياة ابي القاسم الشابي ، مقال ورد في كتاب دراسات عن

الشابي اعداد ابو القاسم محمد كرو ، ص ٢٢ .



وفي طوره الثالث ، وهو طور النضوج والاستقلال في الرأي والتفكير ،  
طور الاختراع في الادب والابتكار ، طالع ابو القاسم من كتب الاقدمين  
آلاف المجلدات وطالع كل ما وصلت اليه يده من كتب المتأخرين ، وله  
شغف خاص بمطالعة ما يترجمه ادباء المشرق من كتب الغرب ، من مثل  
ترجمات العقاد وهيكل والمازني .

### ٦ - تزعمه الحركة الطلابية المنادية بالاصلاح :

كان ابو القاسم الشابي أول رئيس للجنة الطلبة التي نادت بتطوير  
أساليب التدريس في جامع الزيتونة ، وهو الذي وضع برنامج أول عمل  
للمطالبة بالاصلاح ، وأوضحه في الجلسة الاولى للجنة الطلابية التي  
انعقدت في ٥ رجب سنة ١٢٤٧ هـ ، وحين القي القبض على عدد من  
الطلبة اظهر ابو القاسم ثباتا وشجاعة متناهية . (١)

### ٧ - حبه :

اختلف الدارسون للشابي في حقيقة حبه ، فالاستاذ عامر غديرة  
يؤكد هذا الحب ، وأن الشابي عرفه في رأس الجبل حيث كان يعمل  
ابوه ، (٢) نجد ان الاستاذ محمد الحلوي ينكر هذا الحب ، ويحاول  
تعليل ما قاله الشابي فيه من شعر ونثر ، بأنه تمجيد لجنس المرأة  
وجمالها وفتنتها ، لا افتتان وحب لاصراء بالذات ولكن الاستاذ ابو القاسم  
كرو يؤكد هذا الحب ويقول : ورغم اننا لم نعرف بعد وقد لا نعرف

(١) ابو القاسم محمد كرو ، الشابي حياته - شعره ، منشورات دار مكتبة الحياة ،  
الطبعة الثالثة ، ١٩٦٠ ، ص ٥٧ ، ٥٨

(٢) عامر غديرة ، محاولة جعل اطار لترجمة الشابي ، مجلة الفكر التونسية س ٥ ، ع ٣ ،  
ص ١٣ - ٢٥ ، ورد في كتاب دراسات عن الشابي ، اعداد ابو القاسم محمد كرو ،  
دار المغرب العربي ، تونس ، دون تاريخ ، ص ٤٢ - ٥٠ .  
٢٧ / ٠٠٠

ابدا حقيقة هذه المرأة التي احبها ، الا انني اجزم بأن الشابي احب  
فتاة معينة ، وانه شغف بهذا الحب الى درجة العبادة والتقديس . (١)

أما الاستاذ ابو القاسم محمد بدرى ، فيرى ان ابا القاسم قد  
احب حبا عذريا وان هذا الحب كان اعظم عزاء وأعظم عوض لكل ما فقده  
من حياته المليئه بالآلام والسقام . (٢)

ومهما يكن من امر فان في شعر الشابي ما يؤكد هذا الحب  
ويصزه ، لانه شعرا لا بد وان يكون صدر عن قلب عانى الحب فحبر  
لذته ، وعياني من قسوته ، مما سنعرض له حين نتكلم عن الشعر الغزل  
عند ابي القاسم الشابي .

#### ٨ - زواجه :

يبدو ان ابا القاسم لم يوفق في الزواج ممن يحب ، فقد وردت  
في اشعار ابي القاسم قصائد وأبيات تدل على موت من احب ، وان موتها  
قد هدم قلبه وحطم نفسه ، اسمع اليه يقول :

بالامس قند كانت حياتي كالسماة الباسمه  
واليوم قد امست كاعماق الكهوف الواجمه  
قد كان لي ما بين احلامي الجميلة جندول

---

(١) ابو القاسم محمد كرو ، الشابي ، حياته - شعره ، منشورات دار مكتبة الحياة ،  
الطبعة الثالثة ، ١٩٦٠ ، ص ١١٢ - ١١٤ .

(٢) ابو القاسم محمد بدرى ، الشاعران المشابهان ، الشابي والتيجاني ، دار  
المصايف بصر ، ١٩٥٩ ، ص ٥٧ . ٢٨ / ٠٠٠

يجرى به ماء المحبة ظاهرا يتسلسل  
هو جدول قد فجرت ينبوعه في مهجستي  
أجفان فاتنة أرتينهما الحياة لشقوتي  
أجفان فاتنة تراءت لي على فجر الشباب  
كمروسة من غايات الشمر في شفق السحاب  
ثم اختفت خلف السماء وراء نهاتيك الغيم  
نحو السماء وها أنا في الأرض تمثال الشجون (١)

ويبدو ان هذه الصدمة بوفاة محبوبته ، قد عجبت بأهله فنهضوا الى  
زواجه ، فتزوج قبل ان ينهي دراسته العاليه ، علّه ينصرف عن اوهامه  
وتأملاته الحزينه وقبل بالامر ، ولكن زواجه لم يوفق لانه لم يجد في  
زوجته تلك الصورة الشعرية الرائعة التي كان يرسمها للمرأة في اشعاره ،  
ويتغنى بها في قصائده . وترك الشابي بعد موته طفلين .

#### ٩ - وفاة والده وما سببت له من احزان :

كان ابو القاسم الشابي شديد الحبالايه ، ذلك الاب الذي  
طالما حنا على ابنه ، واعتنى به ، واهتم بتربيته ، وصحبه الى كل  
مكان عمل به ، ازاد تعلق ابي القاسم بالده ، وأصبح ينشد فيه المثل  
الاعلى ، ولكن المرض احاق به في صيف عام ١٩٢٩ ، ومع ان الشابي كان  
قد بلغ سن الممر العشرين ، الا ان فزعته على والده كان شديدا ،  
صحب ابو القاسم والده الى مسقط رأسه ، وسهر عليه في ساعات مرضه  
العصيب ، واحتضر الاب ، وانتزعه الموت من قلب أسرته ، فتألم ابو القاسم

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٢٠ .

وكان المصنف أشد مما يتألم الناس، ولم يتحدث عن شيء بألم وحسرة مؤثرة قائمة، كما تحدث عن لحظات أبيه الأخيرة، يظهر ذلك بوضوح في رسالة بعثت بها إلى الأستاذ محمد الحلوي صديقه، يقول:

"أخي الفاضل:

تحية وشكرا

وبعد فإني أود أن أحدثك وأناجيك، وأصيولان أرافقك وأمشيك في تلك السبل التي جال فيها ببراعك ولكن بماذا؟ أم بهذا القلب الذي كسرتة صخور الحياة؟ أم بهذه النفس التي مزقتها أعاصير الوجود؟ أم بهذا الفكر الواهن المخبول؟ أم بهذا الوجدان التائه في شغاب الغد الغامض المرعب؟

آه! أيها الأخ ان الحياة لأعول من ان تحتمل على مثل هذه الحال السيئة الاليمة وان خضم الزمان لأرهب من ان يتقحمه المرء، وهو كما أراه جبار في تعمره قوى في جبروته وطغيانه.

ها هي الأقدار العتية تعبت بنا نحن البشر الضعاف، وترميننا بما لا نستطيع احتماله ولا نمك اعتزله، وانسى لنا ذلك، ونحن اهداف اللجج الشائره، وأعشاب السبول الهادرة.

لقد ضقت ذرعا بالحياة يا صاحبي - ولا أخالني ان ظلت الحياة على ما هي عليه اليوم - الا ذاهبا إلى القبر أو في سبيل الجنون.

انني أحاول ان اخط اليك ما تسمه نفسي من مرارة الوجدان وهم الزمن الجائر، فلا أستطيع الا مثل هذه الكلمات المقطعه التي لا تكاد تبين عما أكابد من فمص لا أنكر ان قد مرت علي فيما

سلف من عمري أيام أنكد من هذه الايام أو أشد .

في الصباح أجلس الى أبي الذي انهكه المرض وأضناه وأرضه  
الالم وأذواه ، وطرفي الى وجهه الشاحب العليل ، والس جفنه الذاعل  
الذي أذبله الالم ، وأذوته الحمى والس جسده المتهدم الواهن .  
وسمعي الى نفسه المتقطع وتأوهات المتتابعه ، وعهدى به ذلك الرجل  
الجليد ، فما أراه كذلك الا وتملأ صدرى الزفريات ، وتملأ عيني المبرات ،  
وتنطلق من قلبي المشلم وصدرى المكلم أنات القهر ودعوات الرجاء  
الى اله الحياة والموت وبساط النور والظلمات ان يشفي هذا الاب  
الواهي الطريح ، وان يشفق على صبيته الصغار الذين ما زالوا واقفين  
بباب الحياة .

ويستعرا ابو القاسم مخاطبا صديقه مينا شقاءه وعنايه فيقول :  
" آه ! رب اشقبتني ، وما أشقيت احدا من عبيدك ، رب فذبنتني وأنا  
عبدك الذي لم يجدف باسمك ولا كفر بنعمائك ، رب رحماك فان عب  
القدر علي شديد ، ودد ممي يا صديقي دعوات الى الله ، وصل  
بقلبك الطاهر مع هذا القلب الكبير الى ذلك الذي يسمع خفقات  
الارواح لمه يلبي دعواتنا التي نرفعها اليه .

ويصل الالم بأبي القاسم فيحقر الحياة ويحقر نفسه ويستغفرهما  
فيقول : " ان هذه النفس يا صاحبي لأهون والله من ذره وصل في  
اكف الرياح ، وان هذه النفس لأحق من تلك المعوضه المغتبطه  
بطغنينهما بين المزابيل . وان هذه النفس لا شقى بما وضع الله فيهما  
من شعور من كل ابناء الحياه . ان الذره من الرمل لتحيث بهما ما  
شاءت الرياح ثم تقر المصافه وتسكن فاذا بها ذرة هادئه ساكنه بين

ذرات الرمال تحلم احلامها الابدية الخرساء ، وترقد بعيدا عن ضجيج  
الدعور وضوضائها ، وأنات الحياة وأرزائها ، أما هذه النفس فانها  
طائر معذب مطعون بسكب دماءه فوق الصخور القاسية ، وبين أشواك  
السبيل دون ان يظفر بعشه الذي عبثت به العاصف ، ولا يسويه الذي  
شردته النسور .

ويشتد الانفصال بالشابي ، فاذا هو حائر ، يبحث عن سر  
الحياه ، ويعلم انه سيدأب في السير لعله يهتدى أو يدرك حينه  
يقول :

" ها أنا مدلج في سبيل الحياة الاقتم ، وهما هي الاشباح  
الرهيبة تتعقبني وتسممني أناشيد السخرية والازدراء ، ولكني سأظل  
سائرا ومنتظرا صباح الحياة . وسأظل مرددا على هامه الغابات  
والكهوف أفنية الحيره والحنين التي أن يبدو الصبح ، أو يسكتني صراخ  
القبور :

يا بني أمي ، ترى ابن الصباح ؟ قد تولّى الصبر ، والفجر بعيد  
وطغى الوادي بمشجوب النواح وانقضت انشودة الفصل السعيد  
أين نايى هل تراه من الرياح ؟ أين غايي ؟ أين محراب السجود ؟  
يا بنات الليل ، قد غاض الصداح منذ طاشت نشوة العيش الحميد  
يا بني امي ، ترى ابن الصباح ؟ أوراى البحر ؟ أم خلف الوجود  
يا بني أمي ترى ابن الصباح ؟

سأظل سائرا في سبيلي ، وسأظل ناشرا في هامه الحقول  
الجرداء الصاربه بذور الأسس التي ان يبدو والقمر الجميل ، فتفتتح  
الاكمام عن ورود جميلة ضاحكه ، ويغرد البلبل وراء الزهور ، سأظل  
سائرا في سبيلي متغنيا بهامه الاوجاع والدموع وان كنت أعلم .

ان الدهور البواكسي غنيّة عن دموعي

وان قلب الحياة تخين بالجراح وان راحة الليل ملأى بالدموع الدامية

ويستمر ابوالقاسم في هذه الرسالة التي تبين فلسفة الحياة عنده ، وفلسفة الموت ، فاذا به يسير في شعاب الحزن ، ويميش في كهوف الشقاء ، ولكنه مع ذلك لا زال ينتظر خيط شعاع ينبئه بحقيقة الحياة ، وما هيمة الموت ، . . . .

ويعتذر ابوالقاسم لصديقه الذي أدمى فؤاده برسالته تلك التي يعتصر منها الهم ، فيقول :

"عفوا يا صديقي ، فقد آلتك وعصرت نفسك عصرا ، فقد كان يودي ان أسرك وان اسمعك اغاني المسره بدل الحان الالم ، ولكن ماذا أصنع ؟ والمريض لا ينطق بغير الأنسين ، والجرح لا يرشح بغير الدماء ، ان الظلم لا تلد الضياء . وان المحزون لا يتكلم بغير احزانه انت صديقي ، وليس لي ان اعدك صديقي حقا الا اذا قاسمتني كغوس الملقم ، وعصير الحنظل ، كما سقيتني رحيق المسره ومسلسبيل الفردوس .

رغبت الي يا صديقي ان أتلو تحياتك وصلوات قلبك علي " أصداء الجبل ، وأسرار الغاب والس كل شحرور يغني ، وكل يائس ينتحب " وذلك عهدى في تحيات الشعراء يا صاحبي فانها لتكون عنده جميله كأرواحهم الملهمة النبيله ولكني يا صديقي لم ابلغ تحياتك الي نفسي القريحة الباكية لانها هي " اليائس الذي ينتحب " في سكون الليل ، كلما سكن الي نفسه وتفكر في الحياه . أما الغاب وأسراره والجبل

وأصدائه والشحورور والحنان العذبة الحبيبة ، فان عهدى بها بحيد ،  
وان تلك السعادة الالهية الطاهرة وتلك المباح والمناظر والاغاني لا  
تنعم بها الا الابصار " الطافحة بالاشعة المكحولة بالبسات ، أمسا  
الاجنان التي قرّحها الدمع واذواها الالم فانها قصبه عن تلك المناظر  
منفيه في سحون الحياة " .

لقد تركت وفاة والده أشرا عميقا في نفسه ، بل لعل هذه  
الوفاة كانت من ابرز الاحداث في حياته ، فهي التي طبعت نفسه  
بالحزن ، وأحلت في قلبه التشاؤم واليأس مما صيغ فالب شمره ، بصباغ  
قاتم ، لا يكاد يذكر لذّة من لذات الحياة الا ويستدرك ، حين يسرى  
شيخ الموت ماثلا أمامه ، فاذا به يمتنذر عما سلف ، ويلوّن صورته  
بألوان المذاب ، فأنت تحس في كل قصيدة قالها سرارة العيش .

ولعلّ مما كان يساعد على اشارة لواعج الحزن هذه ، اخوته  
الصغار الذين خلفهم والده ورائه ، فتحمل أعباء الصائله ، ولم تكن  
له تجربة في الحياة قبل ذلك ، ونظم ابو القاسم قصيدة في رثاء  
أبيه كلها نواح ونديب قال :

يا موت ! قد عزقت صدري ، وقصمت بالارزاء ظهري  
ورميتني من حالي ، وسخوت مني أي سبيخ  
فلبثت مريض الفؤاد أجزأجنحتي بذعر  
وقسوت ان أبقيتني في الكون أذرع كسل وعسر  
وفجمتني فيمن أحب ، ومن اليه أبتسرى  
وأعدده فجرى الجميل ، اذا ادلهم على دهري



وأعدّه وردى ، ومزمأرى ، وكاساتى وخمىرى  
وأعدّه غابى ، ومحراىى ، وأغنىتى وفجسىرى  
ورزأتنى فى عمدتى ، ومشورتى فى كل أمر  
وهدمت صرحا ، لا ألون بغيره وهتكست سترى

ويستمر ابوالقاسم مخاطبا الموت ومحاورا ، كأنه وحش يجثم  
أسامه ، قد أبدى أنيابه .

يا موت ! ماذا تعنى منى وقد مزقت صدرى ؟  
ماذا تود وانت قد سؤدت بالاحزان فسكسىرى  
وتركتنى فى الكائنات أئن ، منفردا باصمىرى  
وأجوب صحراء الحىاة أقول " اىن تراه قبرى ؟"  
ماذا تود من الشقى بىمشه النكد المضر  
ان كنت تطلبنى فهات الكأس ، أشربها بصبر  
أو كنت ترقبىنى فهات السم ، أرشقه بنحسىرى  
خذنى الىك ، فقد تبخر فى فضاء الهىم عمىرى  
وتهدلت أفضان أىامى ، بلا ثمر وزهر  
خذنى الىك فقد ظئت لكأسك الكدر الأمر  
خذنى فقد اصبحت أرقب فى فضاء الجون فجرى  
خذنى فما أشقى الذى يقضى الحىاة بمثل أمرى (١)

ألا ترى كىف بكى الشاعر والده ، لقد أودت الاحزان بأعصابه  
ألا تراه منهارا ، انه بكى بكاء الاطفال ، وكأنى بالشاعر قد نسى

(١) ابوالقاسم الشابى ، اغانى الحىاة ، ص ٩٥ .

أنه ابن عشرين ربيما ، شاب في ريعان العمر ، يجب أن لا يفزع  
من الصيبة بمثل ما فزع وأن عليه ان ينهض بالصبة ، وأن يرضى بما  
قسمه الله . ولكن انه الشاعر المرهف الحس . . . .

١٠ - الشابي يرفض العمل بالوظائف الحكومية :

آثر الشابي ان يعيش مما تدره أملاك الاسره مما لا يكفل لهم  
الاكفاف العيش ، ناجيا بنفسه من اسار الوظيفة ، التي قد تلجم فاه ،  
بقيودها ، وتقتل حرينته بروتينها . . فلم يلج باب الارتفاق من  
المناصب الحكومية ، ورضي بحياة بسيطة على رأس أسرتة بتوزر .

كما رفض الشابي ان يعيش بشعره ، أو يتكسب به ، لان الشعر  
في رأيه قمة الشعور ، وذروة العاطفة ، مما يترعه عن ولسوج مواطن  
الشبهة والريبه .

استمع اليه يقول :

|                     |                  |
|---------------------|------------------|
| به رضا أمير         | لأنظم الشعر أرجو |
| تهدي لرب السرير     | بمدحة أو رشاش    |
| ان يرتضيه ضميري (١) | حبي اذا قلت شعرا |

ويقول :

|                  |                    |
|------------------|--------------------|
| به اقتناص نوال   | لا أقرض الشعر أبيي |
| جماله ذا جلال    | الشعر ان لم يكن في |
| يسمى بواي الضلال | فانما هو طيسف      |

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٣٣ .

يقضي الحياة طريداً      في ذلّة واعتزال  
ما الشعر الا فضاءً      فيه يرف خيالي

١١ - مرضه ووفاته :

اختلف كثير من الدارسين لحياة ابي القاسم في مرضه ، فأجمع الكثير منهم على انه توفي بذات الرثه . الا ان الاستاذ - ابو القاسم محمد كرو - يثبت انه قد مات بدهاء تضخم القلب ، واعتمد في ذلك على وثائق ونصوص تركها الشابي مكتوبه بقلمه ، وعلى بحث قام به محمد عامر غديسره مستندا فيه على مجموعة من الاسانيد والوثائق المائدة للشابي وأسرته . وعلى اتصالات مع الدكتور محمود الصاطري طبيب الشابي الخاص ، الذي أفاد ان الشابي كان يألم من " ضيق الاذنية القلبية " أي ان دوران دمه الرئوي لم يكن كافيا ، وهذا المرض يجعل سيلان الدم في الشرايين من الاذنية اليسرى نحو البطنية اليسرى سيلانا صعبا .

كان الشابي ضعيف البنية ، نشأ متقلبا وربما أصابه هذا الضيق وعمولم ينزل صغير السن ، ضاق قلبه وضاقت رئته ، فلم يعد يتنفس تنفسا عاديا ، ولكن أهم ما في المرض ، انه يقير نفسية المريض ، ونحو أمر هام جدا اذا كان المريض كاتباً أو أدبياً أو رساما أو موسيقيا أي اذا كان فنانا حقيقيا .

منع الاطباء ابي القاسم من ممارسة الجري واللعب بالكرة ومن السباحة ، وقد ترك ذلك الما نفسية عاناها الشاعر كلما هم باللعب مع اصدقائه ، وكثيرا ما كان يقول معتذرا عن دعوة لمثل هذا العمل

" هكذا أمر الطبيب " . . . . .

وكثيرا ما كتب الشابي مذكرات يصور فيها حاله ، وما ينتابه  
من ألم وشقاء .

" أشمر اليوم بفتور في بدني ، وشوعك في مزاجي ، لا أدري  
مأتاه ، وأحس بكآبة عميقة تستحوذ على شاعري ، وتقيض علي قلبي ،  
وتجعلني أكره الكتب والاسفار ، والمحابر والاقلام .

لا أريد ان اذكر اكثر مما ذكرت لانني أرى النوم يغالبني ، والاعياء  
يدافضني الى النعاس " .

وقال في احدي مذكراته :

" اعترمت المذهب الى حديقة " البلفيدير " ، قال احدهم :  
انها مقهىة بعيدة عن صخب المدينة وضوضائها ، قريبة من البرية ،  
مكتهة بالاشجار الجبلية والمشاهد المسببة ، فاستهوانني الوصف ورافقتهم  
وما هي الا ساعة حتى كنا نسبر بين المزارع التي تداعب الشمس  
اعشابها ، وكانت مشاهد كثيرة متباينة . هنا صبية يلعبون بين  
الحقول ، وهناك طائفة من الشبان الزيتوني والمدرسي يرتاضون في الهواء  
الطليق ، والسهل الجميل ، ومن لي بأن اكون مثلهم ؟

ولكن أنس لي ذلك ، والطبيب يحذر علي ذلك ، لان بقلبي  
ضعفا آه ! يا قلبي ! أنت ميمت آلامي ، وستودع أحزاني ، وأنت  
ظلمة أسرى التي تطفئ على حياتي المضمومة والخارجية .

وأثبت الاستاذ كروني كتابه عن الشابي ، رسالة من الشابي  
الى صديقه محمد الحليوي ، وفيها يتحدث عن مرض قلبه حديثا ينفي  
نهاديا جميع المزاعم والظنون حول مرضه .

" لقد اشتد الضعف على قلبي في هاته المدة الاخيرة ، مما  
أوجب معه الطبيب على حرمانني من كل الاعمال الفكرية ، لا فرق بين  
تحضير أو مطالعة أو كتابة لا تألم يا صديقي لاخيك ، فان قلبي هو  
منبع آلامي في هذا العالم . ومن يدري ؟ لعله سيكون منبعاً لمثل  
هاته الآلام في عالم آخر . ان قلبي يا صديقي هو منبع آلام هاته النفس  
التائهة المعذبة ، وهذا الجسد المعنى المنهوك ، وما دامت أحمل بين  
جنبي هذا القلب الكسير ، وما دامت الحياة تهد منه ، ولا ترحم  
فانني أشقى أبناءها .

كما يثبت الاستاذ كرون نص وثيقه وجدت في المستشفى الذي  
توفي فيه الشابي وهذا نص الوثيقة :

"أبو القاسم الشابي تحت عدد ٢٥٦٧

الممر : ٢٦ سنة ( ذلك انه يحسب حسابها هجريا من ١٣٢٧ -  
١٣٥٣ ) .

الدين : الاسلام

الحالة : متزوج

المسكن : الاربانة

تاريخ دخول المستشفى : ٣ أكتوبر ( تشرين الاول ) ١٩٣٤ .

الفحص الطبي : مرض القلب

تاريخ الوفاة : ٩ أكتوبر ١٩٣٤ . (١)

كل هذه الوثائق لا تدع مجالاً للشك في مرض الشابي ، الذي  
ألم به لمدة خمس سنوات امتدت من عام ١٩٢٩ - ١٩٣٤ ، وهذه  
السنوات الخمس لم تكن فترة مرض الشاعر فحسب ، بل كانت فترة  
نضجه وبعقرته التي عاشت مصاحبة لمرضه .

\* \* \*

---

(١) أبو القاسم محمد كرو ، الشابي حياته - شعره ، ص ٤٥ - ٥٣ .

## الفصل الثالث

### صابع شخصيته

#### ١ - التشائم

لمل أهم سمة تغلب على الشابي هي سمة التشائم والحزن ، الذي طالما  
عمر قلبه ، وخالط نفسه ، حتى في اللحظات القليلة التي كان يستشعر فيها  
لذة الحياة ، فأنت تجده يبكي دائما ، وإذا ضحك ، اختلطت دموع حزنه ،  
مع دموع سروره . ولكن من اين جاءه الحزن ؟

لقد اجتمعت على الشابي اسباب عدة أدت قلبه ، وأوجعت نفسه ،  
لعل أهمها موت والده ، وكانت هذه اول مصيبة تعلق بنفسه وقد ظهر  
ذلك في كثير من الرسائل التي كان يبعث فيها احزانه لفر من اعدائه  
أو في الخواطر التي كان يكتبها كلما رفرفت روح ابيه حوله ومن ذلك :

"ليس لدي ما اكتبه عن نهاري هذا ، ولعلي خير لي ان اذهب الى  
فراشي وأنام لانسى . . . . ولكنني ادرى انني لا أنام الا وبأجفاني خيالات  
الدموع وأشباح الأسي ، ساوى الى فراشي ، وستجانديني الاحلام الشخصية  
المزعجة ، الذكريات الالهمة الدائمة ، ذكريات الامل الضائع والقلب الصريح  
سأرى أمي آه ! نعم ذلك الاب الذي شق له الناس قبره ، وسواو التراب  
عليه ، وبقيت بعده ألم وأسر وأحزن ! أجل سأراه كما قد رأيتنه  
في ليالي الكثيرة الخالية حينما ينطفئ السراج ويشعل الغرفة ظلام  
الدجى .

أراه على فراش المرض طرحا يتأوه ، وعيناه متألقتين بوميض الحمى  
الاليم ، وأراه وهو في حالة ساكنه هادئه بجانديني في شؤون كثيرة

يصوت عادي مطمئن ، وأراه وقد اشتدت عليه وضأة الداء ، وأصبح يعالج  
ألم الموت ونزاع الحياة ، والطبيب يفحصه ويحقنه بأدوية كثيرة ، ثم يخرج  
يائسا مخفيا بأسه عني ، أنا المسكين الصغير . وأراه وقد شمله الموت  
براحته فأصبح مترن النفس ، تخاله في حلم النائم العطش ، والنساء  
يبكين بقلب الليل ، ويملأن فجاج الافئق برنات النباحة ، وأنا كالطائر  
الذي يح من الحزن والنحيب ، طورا اقف عند رأسه واخرى عند رجله ،  
واخرى عن يمينه واخرى عن شماله ، وبمبني هذه اجرعه من حين  
لاخر جرعا من الماء ، يمازجها دمعي الفهمل وتكاد تهيقها مسرات  
تسيحي ، ثم رأته التفت الي " وأوقف قلبيته ، فحسبته يرنو الي فاقتربت  
منه قائلا : " أبي أبي ، ماذا تريد ؟ ولكن آه يا قلبي لقد كانت تلك  
نظرة الموت وأنا لا ادري ، أنا الطفل الصغير الذي لا يعرف مواقف الموت  
حسبتها نظرات الحياة ... (١)

هذه بعض خواطره ، تظهر مدى انزعاجه وحزنه وأرقه وان اعم  
ما يجلب الانتباه فيها قوله اكثر من مره - أنا المسكين الصغير - أنا الطفل  
الصغير - فاذا كنا علمنا ان الشابي قد ولد عام ١٦٠٦ ، وان والده  
توفي عام ١٦٢٦ ، نرى ان الشابي كان قد بلغ المشهرين عشية وفاة والده ،  
ولكن بصر على انه لا زال طفلا صغيرا مكيئا ، لقد عزمته الاحداث ،  
فتصاغر امام نفسه ، أولم تمره التجارب ، فهزم امام اول تجربته ، لقد  
يكس الشابي بكاء اعترف انه بكاء نساء " مات ابي وظلمت انتحب وأنسج  
وأبكي بكاء النساء " ...

(١) ابو القاسم محمد كرو ، الشابي حياته شعره ، ص ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦



قد تكون هذه الحادثة هي التي فجرت الحزن في نفس الشاعر ثم  
توالى الاحداث لتضيف حزنا على حزن ، وان بهما تطمع نفسه بالسواد .  
ثم فجح الشاعر بحبيبته ، ماتت وهي برعم لم يتفتح ، ماتت وعسو  
يشتاقي ان ينضم بظلها ، ففجرت في حناياها بواعث المذابح ، وانطوى  
قلبه على أسس لا سهيل فيه الى عزاء ، وأصبح عدوه الموت ، يجد فيه  
وحشة وهولا وفراغا واكتئابا ، استمع اليه يقول :

بالاسر قد كانت حياتي كالسماء الباسمة  
واليوم قد أست كأعماق الكهوف الواجمة  
قد كان لي ما بين احلامي الجميلة جدول  
يجرى به ماء المحبة طامعرا يتسلسل  
هو جدول قد فجرت ينبوعه في مهجتي  
أجفان فائتمة ارتبها الحياة لشقوتي  
أجفان فائتمة تراءت لي على فجر الشباب  
كعروسة من فانيات الشعر في شفق السحاب  
ثم اختفت خلف السماء وراء هاتيك الغيم  
حيث المذاري الخالذات بمن ما بين النجم  
ثم اختفت أوام . ! طائفة بأجنحة المنسون  
نحو السماء وعا انا في الارض تمثال الشجون (١)

وفي قصيدة - ماتم حب - يلمح على قلبه بالمزيد من البكاء ، لان  
حبيبته ماتت ، ويلمح على عينيه ان تذرف الدمع مدارا لتغسل جدث الحبيبة

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٦٩ .

يقول :

مات من تهوى ، وهذا اللحد قد ضم الحبيب  
فابك يا قلب بما فيك من الحزن المذيب  
ايك يا قلب وحيد  
ذل قلبي  
مات حبي  
فأذرفي يا قلة الليل ، الدراري عسبرات  
حول حبي ، فهو قد ودع آفاق الحياة  
بمد ان ذاق اللهب  
وانديسه  
واغسله  
بدموع الفجر ، من اكواب زهر الزنبق  
وادفنه بحلال ، في ضفان الشفق  
ليرى روح الحبيب (١)

فإذا كان أبو القاسم الشابي ، قد سئم الحياة وقلاهما ، فما ذاك  
الا بسبب فقدته من احب ، وانه حين يكس لم يبك مجدا اثلا ضاع ،  
أو عمرا تصرم ، انما يبكي حبا ، كان يملأ عليه حياته .

لست يا أمسي ابكيك لمجد او لجناه  
فأنا احقر المجد وأوهام الحياة  
أو لعمر ، بلغت منه الليالي منتهاه

(١) أبو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٢١ .

وتلاشت في خضم الزمن الطائفي قسواه .  
فأنا ما زلت في فجر شبابي يضحاه  
أما أبكمك للحب الذي كان بهـاه  
يملاً الدنيا فأنني سرت في الدنيا أراه  
فإذا ما لاح فجر كان في الفجر سنه  
وإذا ما غرد طير كان في الشد وصداه  
وإذا ما ضاع عطر كان في العطر شذاه  
وإذا ما رف زهر كان في الزهر صباه  
فهو في الكون جمال يملك الأفق ضياه  
عقري السحر مسراج وديع في سماه  
ينسج الاحلام في قلبي بأشواق الحياه (١)

احب الشابي وتغاني في حبه ، رأى ان القرام أسمى حبة يهبها الله  
للشاعر ، وماذا يكون الامر لو نضب معين الحب ، وجف ورده ، فما الحياة  
لا انفاس الحب ، وليست الا الحانا منغومه موقمه على قيثارته السحرية ،  
والحب في عرفه نجمة للأه للمدلج الساري في غياه الظلام . فـإذا  
احتجبت النجمة ، وتحطمت القيثارة ، وجف الورد ، بكى ابو القاسم وتألم .

ثم ينجع ابو القاسم بقلبه الذي اعياه المنيح المستعصي وخوفي ريمان  
الشباب وميمه الصبا ، فشكا هذا الداء الذي استقر في قلبه ، وأقر مضجعه ،  
وهمدد حياته ، لم ينسج ابو القاسم هذا الداء الذي يصارعه ويسير به  
سريعا الى غلام الفناء ، فكان يتشبه بالحياة ، ويود لو يرتشف كأس  
منها ، كما يرتشف غيره ممن عم في مثل عصره ، ونراه يشكو الى  
الشعر هذه الصلة .

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

يا شمر قلبي مثلما تدرى شقي مظلم  
فيه الجراح النجل يقضم من مفاوره السدم  
جمدت على شفته ارزاء الحياة العابسة  
فهو التعبير به مرارات القلوب البائسة  
ابدا ينوح بحرقه بين الاماني الهاوية  
كالبلبل الفريد ما بين الزهور الذاهبة

ولكنه يعزى قلبه ، ويطلب منه الصمود امام مشكلات الحياة يقول :

يا قلب لا تسخط على الايام فالزهر البديع  
يصفي لصباحات العواصف قبل انغام الربيع  
يا قلب لا تقنع بشوك اليأس من بين الزهور  
فورا آام الحياة عذوبة الالم الجسور (١)

وعكذا نجد ان علة الشاعر كانت هي الاخرى من وراء تشاؤمه ، وان  
اصابته في قلبه كانت من اهم اسباب عزوفه عن الحياة والناس ، فالرجل  
المريض الجسم فاليا ما يكون مريض الاعصاب ، فيثور لكل شيء ، ويحتد لاتفه  
الاسباب ، وقد يكون هذا المرض او النقص الطبيعي في الشخص سببا في ان  
يجعله يضيق بالحياة بل ويكرهها ، فالمرض أو النقص الطبيعي ثم الاحساس  
بهذا النقص او الشعور والتفكير في ذلك المرض ، هما اللذان يتسلطان على  
الانسان ، وهما يستطيمان ان يخلقا من الهاديء الرزين انانا شائسا  
تمردا ، هذه الثورة وهذا التمرد قد يظهران في القول ، كما يظهران في  
العمل ، فليس غريبا ان يضيق الشابي بالناس وان يتجرم بالحياة ، بل ليس

كثيرا على شاعر رقيق الاحساس ، يثمر في قرارة نفسه بصابه ويفكر فيه  
دائما ، ليس كثيرا على شاعر وعجب شاعرية خصبة كالشابي برقب انول  
نجمه شيئا فشيئا ان ينظر الى الجانب الاسود في الحياة ، فاستمع اليه  
بخاطب حبيته :

فافهمي الناس انما الناس خلق      فسد في الوجود غير رشيد  
والسعيد السعيد من عاش كالليل      فربما في اهل هذا الوجود (١)

ولعل من الاسباب التي ساعدت على ازكاء نار الحزن في نفسه ،  
هو الحال السيئه التي كان يعيشها الشعب التونسي تحت ظلال الخسف  
والنذل والهوان التي كان يسومه اياها المستعمر الفرنسي ، حاول الشاعر  
ان يبعث العزيمة في النفوس فدعا الى قارعة الاحتلال ، ومحاربة التخلف  
والرجعية ، ولكن كلماته ذهبت ادراج الريح ، بل انه عوجم هو قمل  
ان يهاجم التخلف ، واتهم بالمروق والخروج على المجتمع .

بالاضافة لكل ما تقدم مما يبعث الاسى والحزن في النفوس ، كان  
للشاعر نفس حساسة ، تعمل فيها الاحداث عملها ، وتحفل بحقيير الامور  
وعظيمها .

واليوم احيا مزهق الاعصاب ، مشبوب الشعور  
متأجج الاحساس ، احفل بالمعظيم وبالحقير (٢)  
تثني على قلبي الحياة ، ويزحف الكون الكبير  
عذا مسيرى يا بني الدنيا فما اشقى المصير

ويسرى احد النقاد ان شعور الشابي بالامتياز قد اوهمه ان لا  
صواب الا في جانبه ، وانه الوحيد البصير بمعاني الحياة ، فانتهى الى

(١) ابو القاسم الشابي ، افاني الحياة ، ص ١٥٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

السكر بحاضر الانسانية وماضيها ومستقبلها ، وانكار قيمة الحياة (١)

وكان الشابي برهافة حسه ، وصدق تحسسه لمشاعر الناس من حوله يتألم مع كل ذى ألم ، فهو بآك مع اليتيم ، مع الام التي فقدت ابنها ، مع الفقير المعدم ، لم ير الشابي في الحياة سوى العائب ، الموت ، القسر ، المسامات ، كأنه لم ير اشراقاً الدنيا ، وانها تعطى وتأخذ ، وتمنع وتمنع ، لم ينظر الى الموت نظرة موضوعية على انه النهاية الحتمية لكل حبي نباتاً كان أم حيواناً أم انساناً .

كم بقلب الظلام من انه تهفو لنصائح عبية اهتم  
ونشيج مضم من فتاة انهضتها قنوارع الايسم  
ونواح يفيض من قلب ام فجمت في وحيدها البسام  
وانين من معدم ذى سقام ، عضه الدهر بالخطوب الجسام (٢)

وفي الابيات التالية يجأ الشاعر بالشكوى الى الله ، مينا ما انتابه من احداث وما عرا قلبه من آلام :

يا اله الوجود ، هذه جراح في فؤادي ، تشكو اليك الدواعي  
انت انشأتني فربها بنفسي بين قومي في نشوتي وانتباهي  
انت عذبتني بدقة حسي وتعقبتني بكل الدواهي  
بالاسى بالسقام بالهم بالوحشة ، بالأس ، بالشقا المتناهي

(١) خليفه محمد التليسي ، الثاني وجبران ، قال جاء في كتاب ابو القاسم محمد كرو - دراسات عن الشابي - دار العرب العربي ، تونس ، ص ١٠٤ .

(٢) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٧٣ ، ٧٤ .

بالعنايا تفتال اشهن اماني وتندوي عجاجري ، وشفاهي  
واذا فتنه الحياة وسخر الكون ضرب من الفمام الزاهي  
بتلاشس فوق الخضم : ويبقى اليم كالعهد مزهد الامسواه (١)

فالشاعر يلجأ الى الله شاكياً ما أصابه ، شكا وحدته وتكر شعبه  
له ، شكا اليه رقة احساسه ، فاذا هو كرمرة عماد الشمس ، يتأثر بكل  
ما في جوه المادى والمعنوى ، مهما كان المؤثر قويا او ضعيفا . شكا  
الى الله المنايا التي تخطف اعزاز حبايبه والديه ، وحببته . . . . . وينتهي  
بعد ذلك ليقرر ان فتنه الحياة وجمالها ليست الا كسحابة صيف شد  
ما تنقشع .

كره الشابي واقع الناس لانه كان يحب الحياة حبا مثاليا رفيقا  
يحب الناس حبا خالصا ساميا ، ويرنو الى الكون وما فيه بعين ملؤها  
الشوق الصادق ، كره واقع الناس المؤلم ، كره فيهم الملق والزيف ، بقدر  
ما احب لهم الصدق والاخلاق ، ودعاهم الى الاخذ بأسباب القوة ، واليهد  
عن التخلف والخور ، ولما لم تجد دعواه اننا صاغية ، بل لان دعواه  
قوبلت بالاستهجان والاتهام بالمروق ، نعى على الحياة اهلها ، وسئم منها  
واتجه الى عالم المثالي عالم ما وراء الطبيعة عالم الخلود والابدية .

ان من اعفى الى صوت المنون  
وصدى الاجداث  
ليس تستهويه الحان الطيور  
بين ازهار الربيع الساحرة

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

وابتسامات الحياة الساخرة  
عن جلال الله (١)

ويقول :

عجيب ان يفرح الناس في كهمات الليالي بحزنهما المشبوب  
ان خمر الحياة وردية اللون ، ولكنها ستم اقلوب

بالاضافة الى ما تقدم من دواعي الحزن التي عاشت في قلب الشاعر  
يكن هناك سبب آخر ، هو تأثر الشاعر بقراءاته لكبار أدباء الرومانسيه  
من امثال بودلير ، ودي موسين ، ولامارتين ، وهوجو ، فطالما قرأ  
ترجمات لاشعارهم وانتاجهم الادبي في مجلة أبولو ، التي انتسب اليها ،  
ونشر شعره فيها ، ومن المعروف عن هؤلاء الرومانسيين ، مغالاتهم في وصف  
مشاعرهم ، وعم بظنهم مبالون الى الحزن والاسى ، والهروب من السواقع ،  
وهم كذلك شديدوا الاحساس بذواتهم ، يشعرون بتفردهم ، وانهم يعيشون في  
مجتمع لا يقدر نبوغهم ويعتبرتهم ... فهم تائهون يبحثون عن الحقيقة فلا  
يجدونها :

|                             |                               |
|-----------------------------|-------------------------------|
| يا صميم الحياة انسي وحيد    | مدلج تائه فأين شروقك ؟        |
| يا صميم الحياة انسي فؤاد    | ضائع ظاسم فأين رحيبك ؟        |
| يا صميم الحياة قد وجم الناي | وغام الفضاء فأين بروقك ؟      |
| يا صميم الحياة اين اغانيك   | فتحت النجوم بعنفي مشوقك ؟ (٢) |

وفي قصيدته - صوت تائه - لا يرى في الحياة شيئاً يستحق ان يعيش  
من اجله الانسان ، فأعراس الحياة ماتم ، وجناتها جحيم ، وشرايها

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٤٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٢ .



فاسد مسموم ، وموسيقاها انين ٠٠٠ ففلاها وعجرها ونشد الحياة في عالم  
سماوى تتحق في السريرة .

|                                  |                                     |
|----------------------------------|-------------------------------------|
| قضيت ادوار الحياة مفكنا          | في الكائنات معذبا مهموما            |
| فوجدت اعراس الوجود ماتعا         | ورأيت فردوس الزمان جحيما            |
| وحضرت مائدة الحياة فلم اجد       | الا شرابا آجنا مسموما               |
| ونفضت اعماق الفضاء فلم اجد       | الا سكونا متعبا محموما              |
| تتبخرا الاعمار في جنباته         | وتموت اشواق النفوس وجوما            |
| ولمست اوتار الدهور فلم تفض       | الا انينا ، داميا ، مكلوما          |
| يتلو اقايمر التماسه والاس        | وبصير افراح الحياة هموما            |
| شردت عن وطني السماوى الذى        | ما كان يوما واجما غموما             |
| شردت عن وطني الجميل ٠٠           | أنا الشقي ، فعشت مشطور الفؤاد يتيما |
| في غربة روحية ، ملهونة           | اشواقها تقضي عطاشا هيما             |
| شردت للدينيا ٠٠ وكل تائه         | فيها يسروع راحلا ومقيما             |
| يدعو الحياة ، فلا يجيب سوى الردى | ليدسه تحت التراب ريما               |
| وتظل سائرة كأن قميدها            | ما كان يوما صاحبا وحيمما            |
| يا ايها السارى لقد طال السرى     | حتام ترقب في الظلام نجومما          |
| اتخال في الوادى البعيد المرتجى   | حيهات ! لن تلقى هناك سروما (١)      |

هكذا هم الشعراء الرومانسيون يفسفون الامور ، وفق مشتبهياتهم ، لا  
يرجعون الى الواقع ولا يحتكمون الى العقل ، بل للصاطفة وحدها . انظر  
الى ابني القاسم يقول :

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٨١ ، ٨٢ .

وتظل سائرة كأن فقيدها ما كان يوماً صاحباً وحميماً

يأخذ على الحياة وابناء الحياة سير قافلتهم • بمد ان يموت احد هم  
وعمل يريد الشاعر ان تتعطل الحياة ، وان تقف عجلتها ، عند موت احد  
ابنائها ؟

ويرى الشاعر الرومنسي ان الاقدار تقف ضده ، وان الرياح تجرى يملاً  
تشتبي سفنه ، وانه مظلوم سيء الظالع ، تلسمه الاقدار بأسوأها ، دون  
ذنب جناه •

مالني تمذيتي الحياة كأنني خلق قريب ؟  
وتهد من قلبي الجميل ؟ فهل لقلبي من ذنوب ؟  
واذا سألت لم الوجود ، وكله ثم مذيب ؟  
قالت نوايس السماء قضت ، وما لك من عروب ؟  
آه على قلبي ! وان شقيت كشقوته قلوب  
انفس من الموج الوضي ، ومن نشيد الخندليب  
لم تقترن اثم الحياة وكان مأواها المهبب  
مهما تضاحكت الحياة فانني ابداً كئيب  
اصفي لاوجاع الكآبة ، والكآبة لا تجيب  
فسي مهجتي تتأوه البلوى ، ويحتلج النحيب  
اني انا الروح الذي سيظل في الدنيا غريب  
ويظل مظلماً باحزان الشيبية والعشيب (١)

(١) ابي القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٨٣ ، ٨٥ .

الرومانسيون امام واقعهم المر ، يحاولون ان يعرفوا اسرار الطبيعة  
والحياة ، ولكنهم لا يصلون الى الحقيقة ، بل يشيرون الاسئلة ولا يعشرون على  
اجابات لها ، فتبقى الحقيقة غائبة دونهم ، لا يستطيعون لها ادراكا  
امام كل هذا ينسحبون من الحياة انسحاب المهزوم ، يغنون ذواتهم السني  
يشعرون بتفردهما وعمقيتها ، وهذه الذاتية الرومانتيكية لها خصائص تتجلى  
على الاخص في عدم الرضا بالحياة في عصرهم ، وفي القلق امام فالمهم  
وما يحج به من احداث وفي الحزن الثالب على انفسهم في كل حال  
دون ان يجدوا له سببا ، وهذه الحال ناشئة من عدم توازن القوى النفسية  
عند هؤلاء الذين طغى الشعور عليهم بذات انفسهم طغيانا دفعهم دفعا  
الى القمة على كل ما هو موجود ، والتطلع الى ما لا يستطيعون تحديده ،  
خاصة في عالم السياسة والخلق والادب .

ولهذا يختص الرومانتيكيون من الواقع بالانطواء على انفسهم ونشدان مثال  
لهم ، فتتسع الهوة بينهم وبين الواقع وما ينشدون من مثال . . . ويظن  
عليهم الشعور الفردي على الرغم من انه سيظل دائرا حول ممان انسانية  
عامه ، من شأنها ان تجيب هؤلاء الرومانتيكيين اليها ، وتقرهم الى  
نفوسنا (١)

ومن هذا قول ابي القاسم الشابي داعيا اعتزال حياة الناس :

وان اردت قضاء العيش في دعة شعيرة لا يفشى صفوها ندم  
فاترك الى الناس دنياهم وضجتهم وما بنوا لنظام العيش او رسما  
واجعل حياتك دوحا مزهرا نضرا في عزلة الغاب ينسوثم بنصدم

(١) محمد فنيي خلال ، الرومانتيكية ، دار نهضة مصر للطبع ، دون تاريخ ، ص ٤٩ .

واجعل ليالك احلاما مفردة ان الحياة وما تدرى به حلم (١)

ثم يقول :

أود ان احيا بفكرة شاعر فأرى الوجود يضيق عن احلامي  
الا اذا قطعت اسبابي مع الدنيا وعشت لوحدي وظلامي  
في الغاب في الجبل البعيد عن الوري حيث الطبيعة والجمال الشامي  
واعيش عيشة زاهد متنسك ما ان تدنسه الحياة ندام  
هجر الجماعة للجمال ، تورعا عنها ، وعن بطش الحياة الدامي (٢)

من كل ما فات نلاحظ ان الشابي شاعر الحزن والاسى ، فالتقارىء في ديوانه يجد كلمات الحزن وصور الاسى تصمر الديوان ، فقد احصت السيدة نعمات احمد فؤاد الالفاظ التي تضمنت معاني المذاب في ديوانه فوجدتها ١١١٨ لفظة من مثل ، شجون ، شقاء ، ابتساس ، نوائب ، البلايا ، الرزايا ، الارعاق ، لظى اليأس ، الهول ، الويل ، ضجيج ، كئيب ، غريب ، انين ، حزين ، حنين ، اعتسك ، حيران ، النحيب ٠٠٠ الخ . وان ديوانه احتوى على ٦٢ لفظا من اسماء الدعر . كاللهمالي ، الدعر ، الايام ، الزمان ٠٠٠ الخ .

اما الجن فقد ظهرت في ديوانه خمس مرات . والديناجير ، والظلماء واخواتها تتوالى تباعا في ثنايا القصيد ، ولقد ضاق الشاعر نفسه بالظلام وتمهاويله فاشرب الس نور ، وهتف به شة وتسع عشرة مرة مرودا عنده الالفاظ : شعله ، نور ، الفجر ، الضياء ، شعاع ، لألاء الصباح ، الضحى (٣)

(١) ابو القاسم الشابي ، افاني الحياة ، ص ١٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٥ .

(٣) نعمات احمد فؤاد ، شعب شاعر ، ابو القاسم الشابي ، مؤسسة الخانجي بصر ١١٥٨ ،

وحاول الاستاذ شوقي ضيف ان يقف على اسباب حزن الشاعر فقال  
" كان احساس ابي القاسم الشابي حادا ، وجعلته حذته محبا للحياة صبا  
بها ، وشعر برؤوس افعاع تمتد اليه في طريقه ، فتمنمه من السير بل  
ترده الى داره ، ان لم يكن الى فراش علة ، فرجع محزوننا يجرا نباله ،  
والكآبة قد ملأت نفسه ، وملأها ايضا الاحساس الدقيق بالكارثة ، ومسا  
ينتظر من موت عاجل محتوم .

ولم يجد امامه ما يثير لواعجه سوى ناي شعره ، فأخذ يشد وعليه  
اغاني مشجيه ، نظمها والدموع تهمل من عينيه ، وعي لذلك تعد اشجى  
اغانيها في العصر الحديث ، لان صاحبها بطلها بدمومه وهو يكتبها ، ولانها  
تصور الما حقيقيا ، بل لان صاحب هذا الالم كان حاد الحس ، فسقط لا  
على الالفاظ التي تمثل ألمه ، وانما على الابر التي تلسع ، وحس الابر في  
نيران قلبه ، فاصبحت تكوى وتلدع . (١)

ويرى الاستاذ محمد الحلوي ان ابا القاسم مرفي تشاؤمه في احوار  
ثلاثة ، الظور الاول : عود صور التشاؤم القاتم ، وفي هذه المدة كان ينحو  
نحو جبران ويكتب على مطالعة المعري انكبابا كليا ، فلما نظم اول اشعاره ،  
كان مفرطا في اليأس والتشاؤم ، وكان هذا التشاؤم من النوع السهل الرخيص ،  
الذي يشاركه فيه كثير من صفراء الشعراء وقليديهم ، فهو تشاؤم لا يعترف  
ببعثه ، ولا الداعي اليه ، وعلة تردده وسبب وجوده .

الظور الثاني : نراه متشاؤما ، ولكن تشاؤمه في هذه المرة مصحوب  
بالتصليل ، وحزنه ببعثه الحيرة ، وكآبته تعتمد على استمرار تساؤل الله

---

(١) شوقي ضيف ، دراهبات في الشعر العربي المعاصر ، دار المعارف ، بدون تاريخ ،

وحيرته وتطلعه الى اليقين .

الطور الثالث : يبدأ من اضيافه في عين دراعم ومن هنا اتجه شعره وجهة جديدة (١) .

ولكن الاستاذ الحلوي لم يوضح هذه الوجهة الجديدة ، وارى ان الشابي في حيرته وتساؤلاته لم يصل الى فلسفة حقيقيه يمثل بها سر هذا التشاؤم ، بل بقي حائرا .

اما الاستاذ ابو القاسم محمد بدرى فيرى ان نظرة الشاعر للحياة هي التي عكست على نفسه الصورة القائمة الممزوجة بحلومر ، وشهد وعصاب ، ولا مريية في ان فلسفة الشابي في كل الوان شعره مستندة من احساسه بذاته القلقه ، ونفسه الثائرة على ما في الكون من نظم وأوضاع ، وقد يجيب الشاعر احيانا على حيرته بما يوضح هذا الاحساس ويبين عنده النظرة القائمة الحزينة (٢)

ما عنده الدنيا الكرهية ويلها      حقت عليها لعنة الاحقصاب  
الفجر يولد باسم متهدلا      في الكون بين نجنة وضباب

اما الاستاذ عمر فروخ فيرى الشابي شاعرا متشاؤما عابسا يحاول ان يزين شعره احيانا بشيء من روح الامل والتفاؤل ، الا انه كان متقلبا بين الامل والبأس ، وكان البأس عليه اغلب (٣) .

- 
- (١) محمد الحلوي ، مع الشابي ، سلسلة كتاب البحث ، تونس ١٩٥٥ ، ص ٧٨ .  
(٢) ابو القاسم محمد بدرى ، الشاعران المتشابهان ، ص ٢٠ .  
(٣) عمر فروخ : شاعران معاصران ، ابراهيم طوقان ، ابو القاسم الشابي ، طبعه اولى ، بيروت ١٩٥٤ ، ص ١٦٠ .  
٥٦/٠٠٠

ولكن عمل كان ابو القاسم دائم التشاؤم ؟ الم تعمير الفرحة قلبه  
قط ؟ هل خلا ديوانه من قصائد غنى فيها للحياة ؟

اذا كان الشابي كثير الهم بالحياة ، الا انه مسفق عليها دؤوب على حسب  
الظلم ، اذا عمه اليأس مره ، يعاوده الغال مرات ، يوقن ان الظلم معقبة  
اشراق ، وان الليل لا بد ان يحويه تنفس الصباح .

ان ذا عسر ظلمة فيراني من وراء الظلام شمت صاحبه  
ضجع الدعر مجد شعبي ، ولكن سترد الحياة يوما وشاحه

وهو يدعو الى الاقبال على الحياة والدأب في السعي عن اجل النهوض  
بها ، يقول :

|  |                           |
|--|---------------------------|
| الا انهض وسرفني سبيل الحياة ، فمن نام لم تنتظره الحياة | ولا تخش مما وراء التلاع   |
| فعاثم الا الضحى في عماء                                | والا ربيع الوجود الفيرير  |
| يشرز بالورد ضافني رداه                                 | والا اريج الزعور الصباح   |
| ورقصر الاشعة بين العماء                                | والا حمام المروج الانيق   |
| يخرد منطلقا في غمائه                                   | الى النور فالنور عذب جميل |
| الى النور فالنور ظل الاله (١)                          |                           |

ويدعو الشاعر الى التعلق بالحياة والعمل بجد في سبيلها ، فهي  
ليست اعلا الا للمكافحين في سبيلها المنافحين عنها .

|                          |                      |
|--------------------------|----------------------|
| ومن لم يعانقه شوق الحياة | تبخر في جونا واندر   |
| فويل لمن لم تشقه الحياة  | من صفة الصدم المنتصر |

---

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٨٨ . ٥٧/٠٠٠

كذلك قالت لي الكائنات وحدثني روحها المستتر  
وقالت لي الارض لما سألت: "أيا أم عمل تكرمين البشر"  
"ابارك في الناس اعمل الضموج ومن يستلذ ركوب الخطر"  
"والمن من لا يماشى الزمان ، ويقنع بالمشي عشر الحجر"

وإذا كان قد دعا الى الضموج وركوب الخطر في سبيل الرقي بالحياة  
والارتفاع بها ، فإنه يدعو ان الحياة لا تستقيل من ابنائها الاكل من سلا  
النشاط فؤاده ، وعمر قلبه بحبها .

هو الكون حي يحب الحياة ، ويحتقر الميت ، مهما كبر  
فلا الافق يحضن ميت الطيور ، ولا النحل يلثم ميت الزعر  
ولولا اسومة قلبي الرؤوم ، لما ضمت الميت تلك الحفر  
فويل لمن لم تشقه الحياة ، من لعنة العدم المنتصر

ويؤمن الشابي بقوانين الحياة ، وان البقاء للأفضل ، وان الحياة دائمة  
المسير ، لا تنتظر المتخلفين المقاعين .

ورن نشيد الحياة المقدس في همك كل ، حالم ، قد سحر  
واعلن في الكون : ان الضموج ، لهيب الحياة ، وروح التفسر  
إذا ضحت للحياة النفوس فلا بد ان يستجيب القدر (١)

احب ابو القاسم الحياة أحب لذاتها ، احب فيها المرأة الجميلة التي  
تيلت قلبه ، واقامت في نفسه تسمع وجيبه ، انها ليست كالحيات ولكن  
الحياة نفسها .

---

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٧٠ .



انت انت الحياة في قدسها السامي ، وفي سحرها الشجي القريد  
انت انت الحياة ، في رقة الفجر ، في رونق الربيع الوليد  
انت انت الحياة كل اوان في رواء من الشباب جديدا  
انت انت الحياة فيك وفي عينيك آيات سحرها الممدود (١)

واستمع اليه يخاطب محبوبته :

ظهري يا شقيقة الروح ثغري      بلهيب الحياة ، بل قبليني  
ان نار الحياة والكوش المنشود      في ثغرك الشهي الحزين  
فهو كأس سحرية لرحيق الخلد      قد صاغها اله الفنون  
قبليني واسكري ثغري الصادي      وقبلي ، وفتنتي وجنوني  
آه ما اعذب الفرام واحلي      رنة اللثم في خشوع السكون (٢)

ولكن بعد ان عرضنا لاشعار الشابي الهارب من الحياة المتشائم عنها ،  
وتلك التي يقبل فيها على الحياة ، ويدعو للسمي حيثما من اجل النهوض  
بها ، على يعني ذلك تناقض ابي القاسم ؟؟ وانه يعمش لحظته ؟؟ ان  
سوته لحظة مدحها ، وان ساءته عنيهه بكاء وشكاها ؟؟

لست من القائلين بذلك ، بل اري ان حب الحياة عند ابي القاسم هو  
الاصل ، لانه طالما غناها ، وطالما دعا شمه ان ينهضوا بها ، وان جاءت  
شكواه من الحينة مره ، فعلا ذلك الا لانه يحرس عليها ، الا يتمنى احدنا  
الموت في احدى ساعات ضنك وسورة فضبه ؟ ولكن لا يلبث ان يتخذ من  
ذلك حافزا ، يدفعه للتخلص مما عوفيه ، اما بالمداواة من علة اسابته ،

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

او متخلرا من كهوة المتبته ، كل ذلك لانه يحب الحياة ويكره الصدم ،  
 هكذا كان ابو القاسم احب الحياة لشعبه ولنفسه ، فلما لم يصغ له الشعب  
 ولما لم تبرأ نفسه من آلامها ، سئم الحياة من حيث احبها ، ولكنه كان  
 يقام السأم ، ويحارب اليأس ، ليمسك العمل من جديد ، ويكرر النداء  
 بضرورة العمل الجاد من اجل الحياة والسوق بها ، مات ابو القاسم بمنزلة  
 اميا قلبه ، ولكنه مات وفسى قلبه امل ان يحيا الشعب الذي ربط حياته  
 بالارادة الجبارة التي ستترغم حتى القدر على الخضوع .

• كان قلبه العليل واسما جيسارا قويا .

|                                  |                                  |
|----------------------------------|----------------------------------|
| يا قلب كم فيك من كون قد اتقدت    | فيه الشمس وعاشت فوقه الامم       |
| يا قلب انك كون عد عشر عجب        | ان يسأل الناس عن آفاته يجعوا     |
| كانك الابد المجهول . . . قد عجزت | عك النهى ، واكهرت حولك الظلم     |
| تضي الحياة بماضيها وحاضرها       | وتدعب الشمس والشيطان والقسم      |
| وانت انت الخضم الرحب لافرح       | يهقى على سطحك الضافي ولا الم     |
| تهلوا الحياة فتخليها وتخليها     | وتستجد حياة ما لها قدم           |
| وانت انت شباب خالد نضر           | مثل الظهيرة ، لا شيب ولا عزم (١) |

• لم يكره الشابي الحياة فهي موسيقى يطرب لها .

|                             |                                 |
|-----------------------------|---------------------------------|
| اصغني لموسيقى الحياة ووحبها | وانيب روح الكون في انشائي       |
| واصيح للصوت الالهي ، الذي   | يحيي بقلبي ميت الاعداء          |
| النور في قلبي وبين جوانحي   | فعلام اخشى السير في الظلماء (٢) |

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

واحسب الشابي الحياة حتى صرح بنفسه انه عبد لها ، وان  
التشائم من الحياة ورفضها هو ضرب من الهذيان والبهتان .

|                               |                               |
|-------------------------------|-------------------------------|
| ما كنت احسب بعد موتك يا ابي   | ومشاعري عمياء بالاحزان        |
| اني سأظلم للحياة واحتسي من    | كأسها المتوهج النشوان         |
| واعود للدنيا بقلب خافق        | للحب والافراح والالحان        |
| ولكل ما في الكون من صور المني | وغرائب الاعواء والأشجان       |
| حتى تحركت السنون واقبلت       | فتن الحياة بسحرها الفتان      |
| فاذا انا طفل الحياة المنتشي   | شوقا الى الاغواء والالسوان    |
| واذا التشائم بالحياة ورفضها   | ضرب من البهتان والهذيان       |
| ان ابن آدم في قرارة نفسه      | هدى الحياة الصادق الايمان (١) |

وتكباد تدعش عندما تسمع الى ابي القاسم وهو يحدثك عن  
(السعادة) وعن مواصفاتها ، وكيفية تحقيقها ، فهو يرى ان السعادة لا  
تتأتى لفرد الا اذا ابتسم امام كل مشكلة ، وضحك لكل معضله ، فالسعادة  
بميدة التحقيق ، ولا يمكن ان يحياها انسان الا بالابتسام للحياة سراتها  
واحزانها .

|                               |                                    |
|-------------------------------|------------------------------------|
| خذ الحياة كما جاءتك مهتما     | في كفيها ، الفار او في كفيها الصدم |
| وارقص على الورد والاشواك مشدا | غنت لك الطير ، او غنت لك الرجم     |
| واعمل كما تأمر الدنيا بلا مضى | والجم شعورك فيها انها صم           |
| فمن تألم لم ترحم مضاعته       | ومن تجلد لم تهزأ به القمم          |
| هذي سعادة دنيانا فكن رجلا     | ان شئتها - ابد الأباد - بيتهم (٢)  |

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١٨٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥١ .

ابو القاسم الشابي الذي علمنا كيف نبكي ، يعلمنا كيف نضحك ،  
بـل كيف نـسعد . . .

ولكن رومنسيته لا تفارقه حتى وهو يعلمنا كيف نـسعد فهو  
يدعونا بالاضافة الى ما تقدم ان نهجر الناس ، نهجر نظامهم الاجتماعي ،  
نهجر نظامهم الحضاري ، لنسكن الشاب ، ونهتمد عنهم .

وان اردت قضاء العيش في دعة شعوية لا ينفي مغروها نسدم  
فاترك الى الناس دنياهم ونهجهم وما بنوا لنظام العيش او رسما  
واجعل حياتك دوحا مزهرا نظرا في عزلة الشاب ينمو ثم ينعدم  
واجعل لياليك احلاما مشردة ان الحياة وما تدوى به ظلم (١)

وبعد فنحن الان امام شاعر يـكـس فأبـكـانا ، وحزن فأحزننا ،  
ضحك للحياة وغنى لها ، وعلمنا كيف يمكن ان نعيش فيها بتحددها ،  
علمنا كيف نـسعد وما هي سبل السعادة ، فهل نحن امام شخصية  
متناقضة ؟

أيهما أصل في نسبة الشابي حبه للحياة ، ام بغضه لها ،  
لمل فيما قاله الدكتور شوقي شيف ما يجيب على تساؤلنا " واكبر  
الظن ان ليس هذا الحب الذي يرثيه مع قلبه الاحبه للحياه ، وما  
يتألق في بصره من جمالها الذي يستطع على الاشياء والاشخاص مسن  
حوله ، وانه ليريد ان يعانق هذا الجمال بكل جوارحه ، فترده يد  
سوداء ، تخرج له من الظلام ، تنهاه ان يقترب فيبكي ويئن ، ويشعر

(١) ابو القاسم الشابي ، افاني الحياة ، ص ١٥١ .

كأن الدنيا بكل ما فيها من سعادة وجمال وفتنة قد فُتت من تحت  
بصره ، ولم يعد له الا كهف الموت يتمشربين صخورها ، وبالبؤس الحياة  
حين يضغضض الموض على قلب شاعر وصدرة ، فتسود الدنيا في عينيه ،  
ولا يجد ما يفرج عن كربته ، او يكشف عن غمته ، حتى امانيه فانها  
تهوى بتساقضة ، تساقط الشهب ، وماذا بقي للشابي من دنياه ؟  
انه لم يبق له الا الظلام الموحش والا الرؤى المزعجه والاشباح المخيفه  
أشباح الموت القاسي القاسم الذي لا يرحم . (١)

## ٢ - فلسفة الموت عند ابي القاسم الشابي :

النداء لديوان الشابي يجد العديد من القصائد يرحب فيها  
الشاعر بالموت ويناجيه ، وكأن رباطاً من الصداقة متين يربط بسين  
الاشمين ، ولكن نظرة متأملة تظهر لنا العكس ، لقد كان الموت عند  
ابي القاسم الالسد ، يخشاه ويهرب منه .

يا موت ماذا تبتغي مني وقد مزقت صدري  
ماذا تسود وقد سودت بالاحزان فسكروى  
يا موت قد شاع الفؤاد ، واقفرت فرصات صدري  
وقدوت امشي مطرقاً من نضول ما اقلت فكري  
يا موت نفسي ملت الدنيا ، فهل لم يسأت دوري (٢)

فالموت نحو السبب في كل ما يعاني ، وهو يتعجله لا لأنه يحبه ،

(١) شوقي ضيف ، دراسات في الشعر العربي المعاصر ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٩٦ ، ٩٧ .

بل لانه عذبه فزهده بالحياة . . . الموت نحو الذي اودى بوالسده ،  
ثم اتبعه بحبوتته . . . استمع اليه يقول :

كننا كزوجي طائر ، في دوحه الحب الامين  
نقلو اناشيد المنى بين الخمائل والغسول  
متفردين مع البلاليل في السهول وفي الحزون  
ملاً الهوى كأس الحياة لنا ، وشعشعها الفتون  
حتى اذا كدنا نرشف خمرها ، غمَّزيب الكمنون  
وأغاب بالحب الوديع ، فودع الصخر الامين  
وشدا بلحن الموت في الافق الحزين المستكين  
ثم اختفى خلف الغيم ، كأنه الطيف الحزين (١)

الم يكن الموت يظن انه هو نفسه ، بعد ان أذعن الموضع قلبه ،  
فالموت بلا شك سيكون المد والاول للشايبى ، ولكن لم ناجس الشاعر  
الموت وتضمنى به ، لم رمز اليه بالصباح ؟ ، اليست اشراقة الصباح  
مقبلة اظلامه الليل ، هل الليل بحلكنه هو رمز لحياة الشاعر ، وهل  
الصباح باشراقتة ، هو الموت الذي يبدد سأم الحياة ، كما يبدد  
النور الظلمة ؟

استمع اليه يقول :

|                |             |
|----------------|-------------|
| ترى اين الصباح | يا بني أمي  |
| أم خلف الوجود  | أوراء البحر |
| ترى اين الصباح | يا بني أمي  |

(١) امينو القاسم الشايبى ، اغاني الحياة ، ص ٥٤ .

الصبح

ويظهر رمزه للصبح بالموت نفسي قبيدته الى الموت :

|                                 |                             |
|---------------------------------|-----------------------------|
| الى الموت يا ابن الحياة التعميس | ففي الموت صوت الحياة الرخيم |
| الى الموت ان عذبتك الدهور       | ففي الموت قلب الدهور الرحيم |
| الى الموت فالصوت روح جميل       | يرفرف من فوق تلك النسيم     |
| الى الموت لا تخش اعماقه         | ففيها ضياء السماء الوديع    |
| هو الموت طيف خلود جميل          | ونصف الحياة الذي لا ينسج    |
| هنالك خلف الغشاء البعيد         | يعيش المنون القسوى السمج    |
| يضم القلوب الى صدره             | ليأسوما مضها من جرح         |
| ويجث فيها ربيع الحياة           | ويهزجها بالصبح الفسج (١)    |

فالموت عند الشاعر هو الصبح الذي يمدد ظلمة الحياة ،  
ويزيل ما اعتسورها من غم ومصائب .

الى الموت ان عذبتك الدهور      ففي الموت قلب الدهور الرخيم  
فهو ان ان رجب بالموت رجب به لان الدهر عذبه ، ووجد في  
الموت قلب الرحيم .

ولما كان الموت شديد الصلة بالشاعر ، صلة عداة وبخشاء ،  
صلة وحش بفرسة ، كان لا بد ان يحاول الشاعر فهم كنهه ، عليه يجد  
في تلك المصرفة ما يعزبه . فأثار الشاعر اسئلة ، ووضع علامات  
استفهام امام قضايا تعرض لها العديد من فلاسفة الزمان وحكائه ،  
ولكن عمل استطاع الشابي ان يحصل على اجابة يعزى بها نفسه ،

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٧٦ .

ويحل لنا اللغز ؟

السؤال  
الذي

نحن نمشي ، وحولنا عاتيه الاكوان تمشي ، لكن لاية غاية ؟  
نحن نشدو مع الصافير للشمس وهذا الربيع ينفخ نايه  
نحن نتلو رواية الكون للموت ولكن ماذا ختام الروايه ؟  
عكذا قلت للرياح فقالت "سل ضمير الوجود كيف البداية ؟"  
وتغشى الضباب نفسي فصاحت في ملال : الى اين اشي ؟  
قلت "سيرى مع الحياة" فقالت ما جنينا ، ترى من السير امس ؟  
فتهاقت كالمهشيم على الارض وناديت اين يا قلب رفشي ؟  
عاتيه علني اخذ ضريحي في سكون الدجى وادفن نفسي (١)

تساءل ابو القاسم عن نهاية رواية الحياة ، ولكنه قبول بسؤال  
عن كيفية البداية ، ولكن الشابي فقد اعصابه ، ولم يجد جوابا  
فأسرع ينادى نفسه لتحضير الرفمشر. والمصول ليخط ضريحا لها .  
ولما لم يجد الشابي اجابة لسؤاله ، وبقي اللغز بدون حل ،  
عاد ليهاجم القدر هجوما عنيفا ، وأى شيء يفيد الهجوم ، وليس هو  
دليل عجز ؟

يا ليل ما تصنع النفس التي سكنت  
فانما الموت ضرب من حياثله  
عذا هو اللغز عماء ومقدم  
عذا الوجود ، ومن اعدائها القدر  
لا يفلت الخلق ما عاشوا فما النظر  
على الخليقة وحش فاثك حذر

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .  
٦٦ / ٠٠٠



قد كبل القدر الضاري فرائسه  
وخاط أعينهم ، كسي لا تشاهده  
لا الموت يتقذ عم من هول صولته  
حار الساكين وارتاعوا واعجزهم  
قد ايقنوا انه لا شيء يتقذ عم  
فما استطاعوا لها دفعا ، ولا حزروا  
عين ، فتصلم ما يأتي وما يندر  
ولا الحياة ، تساوى الناس والحجر  
ان يحذروه ، وهل يجد بهم الحذر  
فاستسلموا لكون الرعب ، وانتظروا

لقد اقتنع الشاعر ان كنه الحياة وسرّها معقد ، لا يمكن ان تصل  
اليه نفسه ، استسلم الشاعر للقدر ، ولكنه استسلم لم يصدر عن سرد  
اليقين ، وطأئينة النفس ، فهو ان يودع الحياة يودعها بيكاء وعويل ،  
وعواشد ما يكون حرصا عليها .

وقهقه القدر الجبار سخوية  
تمشي الى العدم المحتوم باكية  
وانت فوق الاس والموت مبتسم  
بالكائنات ، تضاحك ايها القدر  
طوائف الخلق والاشكال والصور  
ترنو الى الكون يبني ثم يندثر (١)

ولعل اكثر قصيدة تظهر فيها فلسفة الحياة والموت عند الشاعر  
عسي قصيدته - حديث المقبرة - وهي حديث فلسفي ، مداره الحياة  
والموت ، والخلود والكمال . قال الشاعر في تقديمه لقصيدته " فسي  
ليلة مظلمة من ليالي الصيف ، خرج الشاعر بنفسه من القرية الصغيرة  
النائمة في سفح الجبل ، وفي ذلك السكون الشامل ، والظلام المركوم ،  
اخذ يمشي بين اشجار الزيتون المزهرة في مسلك منفرد ، ثم اعتلى تلك  
الربوة الصغيرة ، حيث كانت مدافن القرية ، وحيث ينام الموتى فسي  
صمت الدهور .

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

وبين القبور الخرساء الجاشمة تحت أضواء النجوم ، حيث يتحدث  
كل شيء بجلال الموت ، وتفاهة الحياة ، جلس الشاعر بأقدام متمبه ،  
ونفس شائره ، واجفان قد أذهلتها الاحزان ، فطافت بنفسه الاحلام  
والافكار والذكريات ، وتقلبت امامه صور الموت وأمواج الحياة وتناهت  
امامه رسم الايام الكثيرة ، ما نام منها في قلب الازل ، وما لم يزل  
ينسوف في احشاء الابد الكبير . وجاشت في قلبه عاتة العصور  
والخواطر عجت في صدره عيج الامواج الشائرة ، فألقاها الى الليل  
في النشيد التالي (١)

اتفنى ابتسامات تلك الجفون ؟ ويخيم توهمج تلك الخدود ؟  
وتذوى وريجات تلك الشفاه ؟ وتهوى الى الترب تلك النهود ؟  
وينهد ذاك القوام الرشيق ؟ وينحل صدر ، بديع وجيد ؟  
وتريد تلك الوجوه الصباح وفتنة ذاك الجمال الفريد (٢)

هذه الابيات تعكس رغبة الشاعر في الحياة وحبها اياها ، فهو  
شفق عليها ان تنزل ، تنواق السر بتعصب الزائله ، فهو يخشى زوال الابتسامة  
المذنبه ، ويخاف فناء الخدود الجميلة ، ويفزع من ان تذوى الشفاه  
الوردية ، والنهود العاجية ، بل هو يفرق من اندثار القوام الجميل .

وخشيته لم تقتصر على فناء المرأة الجميلة فحسب ، فهو يخشى زوال  
الصباح المذب الجميل واندثار الشمس الدافئه ، وضوؤها المشرق ، يخشى  
اندثار معالم الطبيعة الجميلة التي احبها ، بحارها ، وانهارها ،  
رياضها ، بساكنها ، ورودها ، اعشابها .

(١) و (٢) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١٣٤ ، ١٣٦ .

ويقضي صباح الحياة البديع ؟ وليل الوجود الرهيب العتيد  
وشمس توشى رداء القمام ؟ وبدر يضئ<sup>٤</sup> ، وغيم يجود  
وضوء يرضع موج التدبير ؟ وسحر يطرز تلك البرود  
وبحر فسح ، بصيد القرار يضح ويدوى دوى الوليد<sup>(١)</sup>

وهو يقرر ان هذا الفناء الشامل الذى ينتظر الكون ، هو شيء  
أعظم من ان تحتمله النفوس ، ويتساءل لماذا لا يخلد الانسان ولماذا لا  
تستمر الحياة .

كبير على النفس هذا العفاء وصعب على القلب هذا الهمود  
وماذا على القدر المستمر لو استمرأ الناس طعم الخلود  
ولم يخفروا بالخراب المحيط ولم يفجعوا في الحبيب السلود  
ولم يسلكوا للخلود المرجى سبيل الردى ، وظلام اللحد  
فدام الشباب ، وسحر الفرام وفسن الربيع ، ولطف السورود<sup>(٢)</sup>

ويستمر الشاعر في تساؤلاته ، وتظل الحيرة تسربل قلبه ، ويظل  
ضمعه في الخلود يسيطر على نفسه ، ويملك حسية ، " وكانت بين القبور  
روح فيلسوف قديم مجهول جاءت تزور جسمها الذى اصبح رملة باليه  
في اجشاء التراب ، فأشغقت على الشاعر المسكين من آلامه الروحانية  
وحيرته الظامه ، فأرادت ان تعلمه الحكمة ، وتسكب في قلبه برد  
اليقين فتخاطبه بهاته الابيات<sup>(٣)</sup>

تبرمت بالعيش خوف الفناء ولو دمت حيا سئمت الخلود  
وعشت على الارض مثل الجبال جليلا رهيبا ، فريبا وحيدا

(١) و (٢) و (٣) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

فلم ترتشف من رضاب الحياة  
ولم تدر ما فتنة الكائنات  
وماذا يرجس ريب الخلود  
تأمل ٠٠ فان نظام الحياة  
فما حيب العيش الا الفناء  
ولولا شقاء الحياة الاليم  
ومن لم يرعه قطوب الدياتير  
ولم تصطبغ من رحيق الوجود  
وما سحر ذاك الربيع الوليد  
من الكون - وهو القيم الابد -  
نظام دقيق ، بديع ، فريد  
ولا زانه غير خوف اللحد  
لما ادراك الناس بعني السعد  
لم يفتبط بالصباح الجديد (١)

هكذا قالت روح الفيلسوف للشاعر حاولت ان تقنعه ان الخلود  
يعني السأم وانه يعني الجمود ، جمود الجبال ، وان خلود النفس قاتل  
ظموها ، مغب استمتاعها بالحياة ، فما احب الانسان الحياة وحرض  
عليها الا لخوفه من اللحد ، فان تدد هذا الخوف ، واضمان الى  
استمرار الحياة ذهبت لذتها ، وان الانسان لا يستشعر معنى السعادة  
الا اذا عانى الخوف ، وشعر بالشقاء .

ولكن عمل اقتنع الشاعر بما قالت له روح الفيلسوف ؟ استمر  
بحاورها ويجادلها ، علته يصل الى قناعه .

|                             |                            |
|-----------------------------|----------------------------|
| مناصر ، لمن حل هذا الوجود   | اذا لم يكن من لقاء الفنايا |
| وهذا الصراع ، العنيف الشديد | فأى فناء لهذي الحياة       |
| وتلك الاغاني ، وذاك النشيد  | وذاك الجمال الذي لا يمل    |
| سراعاً ، ولكننا لا نعود     | لماذا نمر بوادي الزمان     |
| ومنه الرقيق ، ومنه الزمير   | فنشرب من كل نبع شرابا      |

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١٣٦ ، ١٣٧  
٧٠ / ٠٠٠

ومننه اللذيد ومننه الكريه  
وكل - اذا ما سألتنا الحياة -  
ومننه المشيد ومننه المبيد  
غريب لعمري بهذا الوجود  
اتيناه من عالم لا نسراه  
فردى ، فما شأن عذى الحقود  
وما شأن عذا العداء العنيف  
وما شأن عذا الاخاء السود (١)

يتساءل الشاعر ، ويقول اذا لم يكن من الموت بد ، فلماذا  
التكالب على هذه الدنيا ، لماذا الجرى وراء مسراتها ، لماذا الاقتتال  
بين ابنائها ، بل لماذا تلك المداقات التي تربط بين الناس ،  
وكأنني بالشاعر وقد تجرع الحقيقة بود منا ان نعيش الحياة بسلبية ، لا  
نهتم بتحير الاسور وصغيرها ، لا نهتم بمتع الحياة ومسراتها .

ولكن روح الفيلسوف تقول له :

خلقنا لنبلغ شأو الكمال  
ونصيح اهلا لمجد الخلود  
ونكسب من عشرات الطريق  
قوى لا تهد بدأب الصمود  
ومجدنا يكون لنا في الخلود  
اكامل من رائعات الورد (٢)

كانت روح الفيلسوف اكثر ايجابية فأبلغته اننا هنا نحيا لنحاول  
بلوغ الكمال نستحق الخلود ، خلود افعالنا لا خلود اجسامنا .  
ولكن مع ذلك عمل اقتنع الشاعر استمع اليه يقول " هو بالقبرة  
يسرب من الأرواح ، في طريقها الى العالم المجهول ، فطارت معها  
روح الفيلسوف وخلفت عالم الشك والكتابة لابنائها اليائسين وظل الشاعر  
يردد بينه وبين نفسه :

خلقنا لنبلغ شأو الكمال  
ونصيح اهلا لمجد الخلود (٣)

(١) و (٢) و (٣) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١٣٦ ، ١٤٠ .

ولكننا بمد كل ما تقدم لا زلنا أمام سؤال ملح ، يتطلب منا جوابا ،  
هل كان ابو القاسم محبا للحياة ميغضا للموت ؟ ام انه كان كارهها  
للحياة مرحبا بالموت ؟ وقد وردت في ديوانه العديد من القصائد  
يغض فيها الموت ، والعديد من القصائد يدعو فيها الى الموت .

الى الموت لا تخشى اعماقه      ففيها ضياء السماء الوديع  
هو الموت طيف خلود جميل      ونصف الحياة الذي لا ينسج

اختلف القواد ممن تناولوا شعر الشابي بالدراسة والتحليل ، في  
فلسفة الموت والحياة عنده فيرى بعضهم ان الشابي كان محبا للموت ،  
لان مظاهر عشقه له تنشر عبر ديوانه (١)

ويرى آخرون الشعراء ان قبلا على الموت ، اقبالا ايجابيا واعيا  
راجيا ان يجد في صدره الراحة من عذاب العالم المظلم (٢)

وهناك من رأى ان الشابي لم يعشق الموت حتى ولو شققت الحياة  
ولم يرمنه الا استعلاء عندما يقن انه سيخترم سريعا ، حاول  
ان يصرف نفسه عن مرارة الكأس ، او يهبون هذه المرارة على الاقل (٣)

ويرى الباحث ان الشابي كان يحب الحياة ويكره الموت ، ويشقى  
اذا احس يقرب النهاية . حين اصيب الشابي بقلبه ، وادرك ان الموت

---

(١) مجلة الاداب ، العدد السابع ، السنة الثانية ، يوليو ١٩٥٤ ، ص ٥٥ .

(٢) خليفه محمد التليسي ، الشابي وجبران ، مقال ورد في كتاب دراسات  
عن الشابي اعداد ابو القاسم محمد كرو ص ١٠٢ .

(٣) نعمات احمد فؤاد ، شعب وشاعر ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

مترص به لا محاله ، لا ينفعه طب الاطباء ، ولا التعاويذ والرقيس ،  
عندها رجب بالموت كشر لا بد منه ، وكأنني به يقول :

اذا لم يكن من الموت بد فمن الماران تموت جيانا  
ساعت حاله باصابتة بقلبه ، ويموت من احب ، وبأعدائه المترصين  
به ، شعر بتفاعة العيش وتعنى الموت ، ولسان حاله يقول :  
ليس عن مات فاستراح بميت انما الميت يميت الاحياء  
انما الميت من يعيش كميما كاسفا باله قليل الرجاء  
احب الشايي الحياة ليس لنفسه فحسب ، ولكن لشعبه فطالما هتف  
بهم مظالمهم بالحياة :

اذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر  
ويظل الموت عند الشايي حقيقة مره مبغضه :  
حقيقة مره ، ياليل مبغضة كالموت لكن اليها الورد والصدر (١)  
ويكره الشاعر الموت ، ويقدر قيمة الحياة ، وبراعا السيدة  
والناس السوديون ، يدرك ذلك حين اغتال الردي والده فقال :  
ما كنت احسب بعد موتك يا أبي ومشاعري عمياء بالاحزان  
انني سأظلم للحياة واحتسي من نهرها المتوهج النشوان  
واذا التشائم بالحياة ورفضها ضرب من البهتان والبهذيان  
ان ابن آدم في قرارة نفسه عبد الحياة الصادق الايمان

---

(١) ابو القاسم الشايي ، افاني الحياة ، ص ١٨٢ . . . / ٧٣

وأحصت نعمات احمد فؤاد في بحثها عن الشاعر ، انه هتف بالحياة  
والامل في ديوانه ثلاثئة وخمس عشرة مرة ، ظفرت لفظنة الحياة وحدها  
بمئة وستة عشر موضعا ، من مثل الاماني ، السرور ، السلام ، ابتسام ،  
الجمال ، الطروب ، بهجة ، ، نشيد الرجاء ، الافراح ، خمر الحياة ،  
الحب ، الشوق ٠٠٠ الخ ، وتتساءل الكاتبة أليست هذه الالفاظ ، لبنات  
الحياة البناء الآمله الراغبه ؟ (١)

وأجيب نعم بل هي كذلك ، ولو لم يكن الشاعر حريصا على  
ذلك ، لما وقف يقارع الاستعمار بقصائده ويحارب الجهل والتخلف .

وتستمر الكاتبه فتري ان الحياة لم تفز بثلاثئة وخمسة عشر لفظا  
فحسب ، بل ان في رصيدها مئة وواحد وستون لفظا آخر ، هي الفاظ  
القوة والاستشراف في الديوان ، مثل : مجد ، يثار ، الحق ،  
الحسام ، القوة ، تشتعل ، اليقظة ، أجيح ، يثير ، الجسور ، اجنحه ،  
مندفع ، هب ، اباء ، اضرم ، العز ، وتتساءل الكاتبة أليست القوة  
والاستشراف من معاني الحياة ، ومن مقوماتها الاصلية ؟ (٢)

وبعد كمل ذلك استطيع القول انه لم تكن للشابي فلسفة  
- بمعناها العميق - في الموت ، وان كمل ما اشار به هي استفسارات  
حائره تركها فائمه تنتظر جوابا ، ولا عجب في ذلك فأبو القاسم  
شاعر مرعوف الحس والمشاعر ، ليس فيلسوفا .

---

(١) و (٢) نعمات احمد فؤاد ، شعب وشاعر ، ص ٧٠ ، ٧١ .



٣ - موقف الشابي من شعبه :

فلسفة القوة :

اذا كنا قد توصلنا الى انه لم تكن للشابي فلسفة واضحة في الموت انما هي تأملات و تساؤلات لم يستطع لها جوابا .

فقد كان للشابي من ناحية اخرى فلسفة واضحة ، لا تقبل الشك ، هي فلسفة القوة ، وان البقاء للافضل ، لقد كرس الشابي العديد من القصائد لهذا الفرض ودعا اليه بصراحة ، لقد توصل الشاعر الى ان الحياة صراع بين القوى والضعيف ، والضعيف هو المنهزم دائما .

ان الحياة صراع فيها الضعيف يداس

وقرر ان الذل ، هو سبة عار ، لا يرتضيه الكريم

والذل سبة عار لا يرتضيه الكرام

وقام اليأس ودعا الى مقاومته واعتبره موتا ، بل موتا لا يحقق الراحة الابدية ، انما موت يثير الشقاء . ودعا الى الاخذ بالجد والاجتهاد والمثابرة في العمل والدأب للوصول الى القام الذي يحقق للامه عزتها ومكانتها .

وللشعب حياة حينما ، وحينما فناء

واليأس موت ولكن موت يثير شقاء

والجد للشعب روح توحى اليه الهناء

فان تولت تصدت حياته للهلاء (١)

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١٥ ، ١٦ .

وانطلاقاً من فلسفة القوة ، التي بها يتحقق مجد الامم وبنيتها  
دعا افراد شعبه ، السن التحاف العزيمه ، والاخذ بأسبابها ، فهي التي  
يخر امامها كل جبار ، ويخشاها كل معتد ، وأي شيء أضرب على العزيمه  
والغضاء من اليأس والقنوط ؟ فالاقبال على الحياة وحبها يقود السن  
المجد ، والقنوط يقود السن للحد .

وفي العزيمة قوات مسخرة يخر دون مداها الشامخ الجبل  
والناس شخصان ذا يسعى به قدم من القنوط ، وذا يسعى به الامل  
غذا الى الموت والاجداث ساخرة وذا الى المجد ، والدنيا له خول (١)

والشابي الذي احب الحياة ، وكره الموت ، كره كل مسهيات  
الفناء ، كره الحروب التي تودي بالانسانية وتذهب المحبة ، وتحول  
الغضاء . دعا الى السلام ، واعتبره الطريق الافضل للانسانية ، ولكنه  
سلام بعيد عن الاستسلام ، فاذا ما فرضت الحرب على الشعوب ،  
فلتنهض ولتقاتل قتال الابطال .

فما الحرب سوى وحشية نهضت في انفس الناس ، فانقادت لها الدول  
وأيقظت في قلوب الناس عاصفة غام الوجود لها ، واريدت السبل  
فالدعر منتعل بالنار ملتحف بالهول والويل والايام تشتعل  
والارض دامية ، بالاثم طامية ومارد الشرفي ارجائها شمل (٢)

وأى شيء أسمى من الحرية ، وأي مشكلة عانتها الامم العربية في  
تاريخها المصاير ، اعظم من مشكلة العبودية ، كبل المستعمرون الامم

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧ .

وأبناءها ، سلبوا حريتها ، فدعاهم الى الثورة الى انتزاع الحرية من  
انياب الذئاب المفترسة .

آمن الشابي بمدأ انساني وعنه الاعم في مختلف عصورها ، ودعت  
اليه الاديان على تعددها ، الحرية هي منحة الله للفرد ، التي يجب  
الحرص عليها والقتال دونها .

|                             |                              |
|-----------------------------|------------------------------|
| خلقت صليبا كطيف النسيم      | وحرا كسور الضحى في سماء      |
| تفرد كالظير اين اندفعت      | وتشدو بما شاء وحي الاله      |
| وتمرح بين ورود الصباح       | وتنعم بالنور أنس تراء        |
| كذا صاغك الله يا ابن الوجود | واقظك في الكون هذى الحياة    |
| فما لك ترضى بذل القيود      | وتحني لمن كبلوك الحياة       |
| الا انهض وسر في سبيل الحياة | فمن نام لم تنظره الحياة؟ (١) |

وتظهر فلسفة القوة عنده اكثر ما تظهر في قصيدته - فلسفة  
الثعبان المقدس - ويبدو انه رمز للمستعمر بالثعبان ، وبالشحرور للشعب  
الضعيف المسالم . لقد كان الشحرور يغني طربا منشدا اغانيه  
للشمس المشرقة ، وللأعشاب النديه ، تعيش في قلبه السعادة ، ويغمر  
نفسه حب الحياة ، لا يضم الحقد ، ولا يظهر البغض .

|                           |                            |
|---------------------------|----------------------------|
| الشاعر الشحرور يرقص منشدا | للشمس ، فوق الورد والأعشاب |
| شعر السعادة والسلام ونفسه | سكرى بسحر العالم الخلاب    |

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٨٨ .

ولكن الثعبان يظنن عليه ، ويحسد عليه عيشه ، أراد ان يصرعه  
بصرع السعادة ، ينتال السلام ، يقتل الظمانيمة ، يبئد الحب ، ليحل  
محلل الدمار ، ينزع السلام ، ليقر الحرب .

ورآه ثعبان الجبال ، فغمه ما فيه من مروح ، وفضض شباب  
وانقضض مضطننا عليه كأنه سوط القضاء ، ولعنة الارباب  
بغت الشقي فصاح في عول القضا متلفتا للسائل المنتساب

وقف الشحرور ، امام العدو المتربر ، يصرخ لا يجد سلاحا يشهره  
حاول ان يبحث عن الاسباب التي جعلت الجسم ينقضض عليه ، واخيرا  
عشر عليها .

وتدنفق السكين بصح نائرا ماذا جنيت انا فحق عقابي  
لا شيء الا انني متنزل بالكائنات مفرد في غابي  
القي من الدنيا حنانا ظاهرا وابشها نجوى المحب الصابي  
ابعد هذا في الوجود جريمة اين العدالة يا رفاق شبابي ؟

واخيرا اعتدى الشحرور الى الاجابه ، طرح سؤالا وأجاب عنه  
ان سعادة الضعيف تعتبر جرما عند القوي ، يجب ان تسلب ، وان العدل  
في هذا الوجود لا يمكن ان يتحقق الا اذا تعادلت القوي وتساوت ، فلا  
عدل ولا حق غير مدعم بالقوة .

لا (أين ؟) فالشرع المقدس ها هنا رأى القوي وفكرة الغلاب  
وسعادة الضعفاء جرم ، ماله عند القوي سوى اشد عقاب  
ولتشهد الدنيا التي فنيتهما حلم الشهاب ، وروعة الاعجاب  
ان السلام حقيقة مكذوبة والعدل فلسفة اللهب الخابي

لا عدل، الا ان تعادلت القوى وتصادم الارهاب بالارهاب (١)

عذة هي فلسفة الشاعر التي آمن بها ، ودعا شعبه الى  
اعتناقها ، واتخاذها سنة لحياته .

ولكن ما هي السبل التي سلكها الشاعر ليصل بهذه الحقيقة  
الى قلب شعبه ؟ لقد ايقن الشابي ان العدو والاول الذي يجب ان  
تصوب اليه اولى سهامنا هو الجهل والتخلف ، وايقن ايضا ان الامه لن  
تتحرر الا اذا اخذت بأسباب القوة وعاشت يومها مستفيدة من عناصر  
القوة في تاريخها ، نابذة كل غث ، مستغنية عن كل سفاسف ، آخذة  
بموكب الحضارة والعلم الذي اشرق على الدنيا في عصرها الحديث .

لذا كان اول عدو هاجمه الشابي ، قبل مهاجمته الاستعمار  
هو التخلف والجمود ، والقيود في مواطن النذل ، والاستكانة للاحداث ،  
لذا فقد نعى على امته وابنائها قلة المفكرين فيها ، قلة الطامحين  
الى مراقبي المجد والسؤدد .

أين يا شعب قلبك الخائف الحساس ؟ أين الطموح والاحلام ؟

أين يم الحياة يدوى حوالك ، فأين المفكر القلام ؟

اخذ على شعبه ضياع العزيمة ، واخذ عليهم الضعف والخور ،

وتبلى الشاعر .

أين عزم الحياة لا شيء ، الا الصوت والصمت والظلام

عمر ميت ، وقلب خواه ، ودم لا تشيره الآلام

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١٩٢ .

أى عيش هذا ، وأى حياة رب عيش اخف منه الحمام (١)

الشاعر في هذه المرحلة ، مشفق على شعبه ، متعاطف معه ،  
بين له مكايين الداء ، علّه يحوّل أسبابها ، ان من اهم المشكلات  
التي تواجه هذا الشعب ، وتحول دونه والحرية ، هي عدم سماعه  
لدعاة الاصلاح من بيته ، بل والنهوض لمقارعتهم وقتلتهم .

استمع اليه في قصيدته " تونس الجميلة " :

لست ابكي لصف ليل طويل      أولربح غدا العفاء مراحه  
انما عبرتني لخطب قبيسل      قد عرانا ، ولم نجد من ازاحه  
كلما قام في البلاد خطيب      موقظ شعبه يريد صلاحه  
أخمدوا صوته الالهى بالعسف      اماتوا صداحه ونواحيه  
أنا يا تونس الجميلة في لجج      الهوى قد سبحت اى سباحة  
شرعتي حبك العميق وانسي      قد تذوقت مره وقراحه

ثم ينتقل الشابي بشعبه الى مرحلة ثانية ، هي اثارته ضد  
الظالم ليشأر لدماء ابنائه المراقه ، ليحرر ارادته المكبلة ، فاذا لم  
ينهض لذلك ، فهو بالموت اجدر ، ، وبالفناء احق .

كل قلب حمل الخسف وما      صل من ذل الحياة الارذل  
كل شص قد طغنت فيه الدما      دون ان يشار للحق الجلى  
خلة للموت يطويه فما      حظه غير الفناء الانكل (٢)

ويرى ان الشعب لا ينهض الا اذا نهض فيه العزم ، وهذا لن  
يكون الا اذا احب الحياة ، فحبها يتخطى كل الصعاب ، والاموات هم

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١٧٥

الذين يألفون القيود ، أما الأحياء ، فانهم قادرون ومستطيعون الفكاه  
منها بالعمل الجاد .

لا ينهض الشعب الا حين يدفعه عزم الحياة ، اذا ما التفتت فيه  
والحرب يخرق الغبراء مندفعاً الى السماء ، اذا هبت تناديه  
والقيد بألفه الاموات ، ما لبثوا اما الحياة فيبليها وتبليسه (١)  
وتبلغ ثورة ابي القاسم أوجهها ، ويتضح رأيه في الحياة وحبها ،  
ويرسم لنا طريق بلوغها ، في قصيدته المشهورة " ارادة الحياة " ولعمل  
اسم القصيدة ، يحمل اعطق فلسفة الشاعر " انها ارادة الحياة " فمن  
ارادها ارادته ، ومن احبها عمل من اجلها ، وداس الصعوبات التي تسد  
الطريق ، واخضع كبل شيء حتى القدر ، وأزال ظلمة الليل الحالك ، لتحل  
محلها اشراق الصبح ، وكسر الاغلال .

اذا الشعب يوما اراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر  
ولا بد لليل ان ينجلي ولا بد للقيد ان ينكسر

اما اولئك النفرا الذي لم يعشقوا الحياة ، فان الحياة ستوصد  
ابوابها دونهم ، وسوف يكون الفناء رائدهم .

ومن لم يعانقه شوق الحياه تبخر في جوعها واندر شر  
فويل لمن لم تشقه الحياة من صفعة المدم المنتصر

اما الانهزاميون السليبيون ، فهم المندحرون ، العائشون بين  
الشعاب ، وفي ظلمات الكهوف ، يشملهم المار ، ويدشرهم النذل بدثاره .

---

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١١٨ . . . / ٨١

ومن لا يحب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر  
ثم يعود مرة اخرى ليشير الى منطلقه ، ويؤكد فلسفة " ارادة  
الحياة " .

وقالت لي الارض - لما سألت : " أيا أم هل تكرهين البشر "  
" أبارك في الناس اهل الطموح ومن يستلذ ركوب الخطر "  
" وألعن من لا يمشي الزمان ، ويقنع بالعيش عيش الحجر "  
" هو الكون حي يحب الحياة ، ويحترق الميت مهما كبر "  
" فلا الاقح يحضن ميت الطيور ، ولا النحل يلثم ميت الزعر "  
" ولولا امومة قلبي الرؤوم ، لما ضمت الميت تلك الحفر "  
" فويل لمن لم تشقه الحياة ، من لعنة المدم المنتصر " (١)

ثم ينتقل ابو القاسم بشعبه الى المرحلة الثالثة ، مرحلة تهديد  
الظالمين المتصلفين بشويرة الشعب ، وكأنني به يريد ان ينزل الخوف  
من النفوس ، بعد ان ترسخ لديها انها ضعيفة امام عدو يملك وسائل  
الفتك والافناء ، وهي ضعيفة لا حول لها بلقائه ، وكأنني به اراد من  
هؤلاء المستعمرين ، الذين غررتهم القوه وأعماهم الطمع ، ان يعودوا الى  
رشدهم ، ويتنازلوا عن صلفهم ، ليقول ان الشعوب مهما ضعفت الا  
انها قادرة على الفتك بهم ، وتصفيتهم .

استمع اليه يخاطب المستعمرين :

يا أيها السادرني فيّسه

يا واقفا فوق حطام الجيالة

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .



مهلا فني أنات من دستهم  
صوت رهيب سوف يدوي صداه  
يا أيها الجبار لا تنزدرى  
فالحق جبار طويل الانه  
بنفس وفي اجفانه يقظة  
ترنو الى الفجر الذي لا تسراه (١)

فالسلاح الذي يتسلح به الشاعر ، والذي يهدد به الظالمين ،  
هو سلاح الحق ، وأي سلاح اقوى منه ، اذا تسربل به شعب منحه  
القوه ، أو سعى في سبيل الحصول عليها .

وفي قصيدته " زئير العاصفة " يقول :  
فيا أيها الظلم المصعق  
سيثأر للفضح المحطم تاجه  
رجال اذا جاش الردى فهم هم  
رجال يرون النذل عارا وسبة  
رويدك ان الدهر يبني ويهدم  
ولا يرهيون الموت والموت مقدم (٢)

وفي قصيدته " الى الطاغية " يقول :  
يقولون صوت المستذلين خافت  
وفي صيحة الشعب المسخر زعزع  
ولمعة الحق الغضوب لها عدى  
اذا التفحول الحق قسم فانه  
وسمع طغاة الارض (اطروش) اضخم  
تخر لها شم العروش وتهدم  
ودممة الحرب الضروس لها قسم  
يصم احداث الزمان ويسبم

(١) ابوالقاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٥٨

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٢ .

لك الويل يا صرح المظالم من غد  
اغرك أن الشعب مفضل على قدي  
و لكن سيأتي بعد لاي نشورها  
هو الحق يغنى ثم ينهض ساخطا  
اذا نهض المستضعفون ، وصموا  
وأن الفضاء الرحب وسنان مظلم  
وينبتق اليوم الذي يترنم  
فيهدم ما شاد الظلام ويحطم (١)

وبعد ، لقد أوضح الشاعر لشعبه فلسفة الحياة ، وانها قائمة  
على القوة ، وان الحياة فيها للاقوى ، وان دروب الحياة ، مفتوحة لمن  
ارادها ، ثم انتقل ليربهم مواطن الضعف ، ومكان الداء ، ثم  
دعاهم للشورة ، الشورة على التخلف ، الشورة على الجهل ، على المرض ،  
قبل الشورة على المستعمرين .

ثم حاول الشابي ان يبعث العزم في نفوس الامة ، وانها قوية  
على ضعفها ، اذا آمنت بحقها ، وأحبت الحياة ، وصب جام غضبه على  
المستعمرين ، انذرهم وهددهم ، عساه يصيبهم في معنوياتهم .

ولكن هل استجاب الشعب ؟ هل وعي الحقيقة ؟ هل ادركها ؟  
هل تمثلها سلوكا ؟

هنا تبدأ المرحلة الرابعة من علاقة الشاعر بشعبه مرحلة  
البأس والنقمة ، لم يصل الشعب بعد الى النضج ، ولم يستطع ان  
يلبي داعي ابي القاسم ، فتأخر في ثورته ، واستعجله الشابي ، ولكنه  
لم يأبه ، وأراد ابو القاسم ثورة عارمة تدمر كل اسباب الضعف ، ولكن  
الشعب الذي لم يتهيأ لذلك تواني ، فغضب منه الشاعر وسخط عليه  
واتهمه بالجنون .

انني ارى ، فأرى جموعا جملة لكنها تحيا بلا ألباب

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٤٣

وعاب فيهم اقتتالهم واختلافهم :

وتضسوا على روح الاخوة بينهم      جهلا وفاشوا عيشة الاغراب  
لعب يحركها المطامع واللهم      وصغائر الاحقاد والآراب

وعاب ايضا ادبارهم عن كل دعاة الاصلاح :

الشاعر الموعوب بهرق فنه      عمدرا على الاتقاد والاعتاب  
ويعيش في كسوف عقيم ميت      قد شيدته غباوة الاحقاد (١)

وحاول الشابي ان يظهر شعبه على مواطن القوة فيه ، وانه  
تادر على السيطرة ، على الحياة ، وان يتبوأ احسن مكان فيها ، لو  
حرر ارادته ، واسلم زمامه لقيادة سليمة ، تأخذ بيده ، وتقوده الس  
مسالك القوة ، وتححرر افكاره ، من اسار تقاليد عفى عليها الزمن .

أيها الشعب انت طفل صغير      لاعب بالتراب والليل عفس  
انت في الكون قوة لم تسها      فكرة عبقرية ذات أساس  
انت في الكون قوة كبلتها      ظلمات العصور من اس اس

ان دعوات الشابي ، لم تجد اذنا صافية فحسب ، بل وجدت  
نكرانا وجحودا ، فتعرض الشابي لهجوم عنيف ، شنه عليه ، اولئك  
النفير ، الذي يحقق فقر الشعب غناهم ، وحماسته سمادتهم ، اولئك  
الناس الذين ساروا في ركب المستعمر ، يساعدونه في قهر الشعب ،  
واستنزاف ثرواته .

ونقم الشابي على رجال الدين ، لانهم لم يستغلوا سلطانهم  
ووعيمهم لتهيئة الناس للشورة على الظالمين ، وكان بإمكانهم ان يفعلوا

(١) ابو القاسم الشابي ، افاني الحياة ، ص ١٨٤ .

الكثير ، ففي تعاليم الاسلام دعوة للقوة ، ودعوة لقتال اعداء الامم ،  
وفي تاريخ الاسلامي ما يصلح لان يكون نعم القدوة لهؤلاء المظلومين .  
لم يفصل هؤلاء شيئا من هذا .

صليء الدهر بالخداغ فكم قد ضلل الناس من امام وقس (١)

حين ادبر الناس عن ابي القاسم ، وحين رموه بالمروق والخروج  
عن مألوف امرهم ، حزن وشعر بالشره بين قوم لا يفهمون دعواه .

يا صميم الحياة كم انا في الدنيا      فريب اشقى بفسرية نفسي  
بين قوم لا يفهمون انا شيد      فؤادى ولا معاني بؤسي  
فني وجود مكبل بقيسود      تائه في ظلام شك ونحس

ثار ابا القاسم على شعبه ، وكان يجب ان يكون رحيمًا ودعيًا  
مدركًا سنة التطور ، وان الشعب حتى تتسنى له الثورة ، لا بد وان  
ينضج وهي ما حوله ، ولكنها ثورة نبعت من رصفحه ، ومن حرصه  
الشديد على مصلحة شعبه ، ثار الشاعر ثورة رومسيه " فلم يكمن  
الرومانتيكي عادة بالمرح ولا بالمتفائل ، وانما كان فريسة الم سرير بسبب  
الجفوة بينه وبين مجتمع لا يقدر ما فيه من نبل الاحساس ونتاجة  
انهيار آماله الواسعه ، وتعذر ظفوه بالمشال المنشود ، لذا كان الحزن  
ظابع الرومسيين وهو حزن يدل على عزلتهم الروحيه ونفورهم من  
ادواء المجتمع" (٢)

(١) ابا القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٤٦ .

(٢) د . محمد فنيي ، غلال ، الرومانتيكيه ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ص ٣٤

ثار الشابي على شعبه ، واتخذت ثورته دواعي عده ، فهو  
يتهم الشعب بالكفر بالحياة ، وعبادة الماضي ، والتخلي عن الحاضر ،  
ووصفه بأنه كاهن الظلام .

انت يا كاهن الظلام حياة      تعبد الموت انت روح شقي  
كافر بالحياة والنور لا يصفى      الي الكون قلبه الحجري  
انت دنيا يظلمها افق الماضي      وليل الكآبة الابدى  
والشقي الشقي في الارض شعب      يومه ميت وماغيه حي

يأس الشابي وتراجع ، وانقلب حبه لشعبه نقمة على عذا الشعب  
انه يشور حتى ليعتدى ان يحطم الرؤوس في هذا المجتمع ، وازالته من  
عالم الوجود ، لانه لا يصلح للحياة ، وهكذا تكون رسالة الشابي قد  
انتهت بسلبية بغبضة وبأس قاتل ، ولمضراحي القاسم ، وتفسوز  
اعصابه السبب الاكبر في ذلك ، بل لعل نقمته على شعبه كانت  
ناجمة من حبه العميق له ، وما اشبه غضب الشابي على شعبه ،  
بغضب محب على حبيبته ، فان غضبه نابع من عميق حبه ، وهو ان  
غضب ، فهو غضب مؤقت لا يحمل في طياته الحقد ، وان اتسم بالمنف  
والاقتذاع .

ايها الشعب ليتني كنت حظاها      فاعوى على الجذوع بفأسي  
ليتني كنت كالسيول اذا سالت      تهدد القبور رمنا برمسي  
ليتني كنت كالشتاء افشسي      كل ما انبيل الخريف بقترسي

ثم انسحب الشابي من الحياة ، وعجز شعبه ليعيش في الغاب ،  
وكأنه وكمادة الرومانسيين يجد في الغاب الراحة من شرور المجتمع

الذي صم آذانه عن سماعه .

|                            |                             |
|----------------------------|-----------------------------|
| وأترفتها بخمرة نفسي        | في صباح الحياة ضمخت الكواهي |
| رحيقتي ودست يا شعب كأسني   | ثم قدمتها اليك فأعسرت       |
| وكفكفت من شعوري وحسي       | فتألمت ثم أسكت آلامي        |
| باقية لم يمسه أي إنس       | ثم نضدت من ازا غير قلبي     |
| ورودي ، ودستها أي دوس      | ثم قدمتها اليك فمزقت        |
| وبشوك الصخور توجت رأسي (١) | ثم البستني من الحزن ثوبا    |

هذه هي الاسباب التي جعلت ابو القاسم يمتزل شعبه الذي الغاب ، اوضحها له ، وكأنه يشير الى المبرر ، اويلتمس العذر ، ها انا ذاهب الى الغاب علي في صميم الغابات ادفن نفسي

لقد فر من الناس بعد ان تحقق من فشل الرسالة التي نادى بها ، ومن اعراضهم عنها ، . . . وبعد هل كان للشابي رسالة في الحياة ؟ بعد ما علمنا ما كان بينه وبين شعبه . وهل انتقصت نعمة الشابي على شعبه في آخر عهده ، شيئا من هذه الرسالة ان وجدت ؟؟

نعم كان للشابي رسالة واضحة لا تشبه الشك ، وترفض الطعن ، رسالته هي مقارعة الاستعمار ، فالشابي مؤمن بالحياة ، ومؤمن بالشعب ورسالته كانت رسالة كل شعب حر ، رسالة كل متحرر . كانت ثورته على المستعمر تكسح معها التقاليد المتحجرة ، كانت رسالة الشابي ،

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١٠٢ .

رسالة التجديد مع الاحتفاظ بالاصالة القومية ، والاخذ من القديم كل  
نافع ، كان يريد ان يسير مع الانسانية حيث النور والحقيقة .

والباحث لا يرى ما رآه الدكتور عمر فروخ في ان الشابي كانت تموزه  
الرسالة حين يقول " والشابي شاعر ناقم يزعم انه يريد ان يؤدي  
رسالة ولكنه في الحقيقة يحمل معولا ليهدم به كل شيء في الحياة  
والناس والبلاد والوطن والامه . . . وان اداء الرسالة يقتضي اتجاهها واضحا  
وثباتا على مبدأ (١) .

ولست ادري كيف اتخذ الاستاذ فروخ هذا الحكم ، اين هو معمول  
الهدم ؟ هل هو تغنيه بالحياة ودعوته الى الاخذ بأسهل القوه ؟  
هل هو صموده امام كل التحديات النفسيه والماديه ؟ اذا كان الدكتور  
فروخ قد اخذ على الشاعر سخطه على شعبه في اواخر ايامه ،  
فاعتقد انه سخط ، نبع من حب الشاعر لشعبه ، سخط نبع من  
مقاومة بعض فئات الشعب لهذا الشاعر ، ولا يعني هذا انني اتعاطف  
مع الشاعر ، واقف معه ، وكنت اود ان لا يقسو الشاعر على شعبه ،  
وان يأخذه باللين ، وان يدرك ان الثورة الشعبيه ، لا تتحقق في يوم وليلة  
بل لا بد من نضج الشعب ووعيه ، وهي مسئولية النبهة الواعية في الامه .

#### ٤ - موقفه من الدين :

يرى الدكتور عمر فروخ ان الشابي قد خرج في شعره عن الدين  
وتعاليمه ، فهو ينحرف في تشابيهه واستعاراته - احبانا - منحني لا  
يقره التوحيد ، او هو زندقه في رأى النقاد القدماء (٢) فهو يتكلم

(١) د . عمر فروخ ، شاعران معاصران ، ص ١٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

عن المرأة فيقول :

انت قدسي ومعبدى وصباحي      وربيصي ونشوتي وخلودي  
يا ابنة النور انني انا وحدى      من رأى فيك روعة السبيود  
وحرام عليك ان تسحقي آما      ل نفس تصبو لعيش ريفد  
فالاله العظيم لا يرحم العبد      اذا كان في جلال السجود (١)

وقال الشابي في احدى وطنياته :

لست ابكي لعسف ليل ضويل      او لربيع غدا العفاء مراحه  
انما عبرتي لخطب هينل      قد عرانا ولم نجد من ازاحه  
كلما قام في البلاد خطيب      موقظ شعبه اراد صلاحه  
اخمدوا صوته الالهى بالعصف      اما اتوا صداحه ونواحه (٢)

وقوله :

مليء الدهر بالخداع فكم      قد ضلل الناس من امام وقس

وقد يكون الدكتور فرج اخذ على الشاعر قوله في البيت الاول  
" انت قدسي ، ومعبدى " ومثل هذا الكلام مألوف لدى الشعراء ، وليس  
التمسود به العبادة الدينية ، وقد يكون المقصود الولاء والحب الدائم  
وعدم قدرته الخروج عن طوع من احب . بل قد يجد الباحث في  
البيت الثاني ، روعة الايمان ، لانه رأى في جمال حبيبه قدرة الله  
سبحانه وتعالى على الخلق والابداع .

اساقوله :

فالاله العظيم لا يرحم العبد      اذا كان في جلال السجود

يرى الشاعر ان الله في رحمته لعباده عمو القادرة التي يجب ان

يقصدى بها .

(١) ابو القاسم الشابي ، افاني الحياة ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣ .



امافي القصيدة الشانية ، قد يكون الناقد ، اخذ على الشاعر /  
قوله صوتبه الالهى ، واعتقد ان هذه الصفة لا تضير ابا القاسم لانه  
يرى ان صوت هذا المصلح الداعي الى الخير والصلاح ، كأنه صوت  
من السماء ، ومثل هذه الاوصاف ما لسوفه قبي الادب الصربي وغيره .

امافي قصيدته الثالثة حين انحس الشاعر باللحم على الامام واقس

مليء الدهر بالخداع فكلم قد ضلل الناس من امام وقس

لا يعني هذا انه يلوم وينقد في شخصيتهما الدينين الاسلامي  
والسيحي ، بل قد يكون ذلك حرصا على كلا الدينين ، ودعوة لرجال  
الدين فيهما ، الى الاخذ بحذافير الدين واصوله وجوهره ، كي  
يسمو بالناس . . .

كما شار رجال الدين على الشابي عندما نشر قصيدته المشهورة .

اذا الشعب يوما اراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر  
ولا بد لليل ان ينجلي ولا بد للقيد ان ينكسر

شار عليه رجال الدين ، وأشاروا الصحف والجمهير ، فكيف

يقول الشاعر " لا بد ان يستجيب القدر " كيف يستجيب القدر لقوة

الشعب ، بينما القدر لا يستجيب الا لقوة الله ؟ لقد اعتبر رجال الدين  
" الشابي " كافرا ملحدا ، وهاجموه هجوما عنيفا وحاربوه على نطاق  
واسع (١) .

(١) رجاء النقاش ، ابو القاسم شاعر الحب والثورة ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ،

الطبعة الاولى ، ١٩٧١ ، ص ٦٥ .

والباحث لا يرى في قول الشاعر " لا بد ان يستجيب القدر " خروجاً على الدين ، بل أرى انها تتفق مع تعاليمه الداعية الى القوة ، وان الله وعد عباده في كثير من آياته بالنصر اذا عم عملوا . . .

كما ثار عليه هؤلاء لانه قال في احدى قصائده مخاطباً حبيبته :

انت انشودة الاناشيد      غناك اله الغناء رب القصيد

قالوا عنه انه " وشني " فهو يؤمن " باله للبناء " ، ومعنى هذا انه يؤمن باله " للحب " واله " للمطر " وغير ذلك مما لم تعرفه الا المصور الوثنية سواء عند العرب او عند الاغريق ، ومعنى هذه النزعة الوثنية ان الشاعر مشرك لا يؤمن باله واحد ، وهو بذلك ضد " الوحدة الاسلامية " (١)

والباحث لا يرى هذا الرأي ، فان الله عز وجل ، هو اله ، لكل ما في الوجود ، هو اله الحب ، واله الخير ، اله الغناء ، اله المسرة ، ولكن الباحث يرى ان ابا القاسم كانت تتقابه شورات عاطفية ، لكثرة ما انتابته الدواهي والمتبه الخطوب ، من داء يسكن قلبه ، وموت يتناول كل عزيز ، فكان يجأر لله بالشكوى ، ولكنها شكوى تحكمت فيها العاطفة ، وسيطرت عليها الاعصاب التي ادساها الالم ، شكوى لم تتسم بالصبر الذي حث عليه الدين ، ففي قصيدته " الى الله " (٢) يقول :

يا اله الوجود هذي جراح      في فؤادي تشكو البك الدواهي  
هذه زفرة يسمدها لهم      الي سمع الفضلاء الساهي

(١) رجاء النقاش ، ابو القاسم الشابي شاعر الحب والثورة ، ص ٦٥ .

(٢) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٩٨ .

هذه مهجة الشقاء تلجيك فهل انت سامع يا الهي

ثم يشير الشاعر الى المصائب التي حلت به فيقول :

انت انزلتني الى ظلمة الارض وقد كتفي صباح زاه

انت عذبتني بدقة حسي وتعقبتني بكل الدواعي

بالاسى بالسقام ، بالهم ، بالوحشة ، بالياس ، بالشقاء المتلاحى

ويظهر ضيق الشاعر ، واضطراب اعصابه ، وقلة صبره ، حين يقول :

يا رياح الوجود ، سيرى يعنف وتفتني بصوتك الاواه  
وانفحيني من روحك الفخم ما يبلغ صوتي آذان هذا الاله  
فهو يصغي الى القوى ، ولا يصغى لصوت بين العواصف واواه

ثم يقول :

خبروني هل للورى من اله ، واحم - مثل زعمهم - اواه  
انني لم اجده في هاته الدنيا ، فهل خلف اقبحها من اله

لقد تمرد الشاعر ، وخرج عن اطوار النفس المؤمنة التي تنتم  
بسبرد اليقين ، ولا تتلظى بنار الشك ، ولكن هل استمر الشاعر في تمرد  
هل اتفق مع نفسه وضميره فيما قال ؟

استمع اليه يملن التوبة ، ويشعر بتبكيه الضمير ، انه يعاود  
اللجوء الى الله ، ويطلب منه العفو ، ويرجوه السماح ، عما ارتكب  
من اثم .

ما الذى قد اتيت يا قلبي الباكي ؟ وماذا قد قلته يا شفاعي  
يا الهي قد انطق الهم قلبي بالذى كان .. فاعتفريا الهى

قدم اليأس والكآبة آست قلبي المتصب ، الضريب الواهي  
فتشظن ، وتلك بمرض شظاياها ، فسامق قنوطه المتناهي

ثم يعود ليؤكد ان قلبه هو معبد الحق ، يعمره الايمان بنور  
الله ونقائه .

فهو يا رب معبد الحق ، والايمان والنور والنقاء الالهسي  
وهو ناي الجمال ، والحب ، والاحلام ، لكن حطته الدواعي (١)

عذا التمرد الرومسي ، وراهه عقيدة راسخة بوجود اله ، وايمان  
بالعالم الآخر ، الذي تتحقق فيه العدالة ، وتجزى كل نفس بما عملت ،  
كتب ابو القاسم الشابي رسالة الى صديقه الاستاذ محمد الحليوي ، يشكو  
فيها مرض قلبه ، يظهر فيه ايمانه بالبعث والنشور " لا تألم يا صديقي  
لاخيك ، فان قلبي هو منبع آامي ، في عذا العالم ، ومن يدري ؟  
لعله سيكون منبعا لمثل عاهته الآام في العالم الآخر . (٢)

لقد آمن الشابي برحمة الله ، ولجا اليه شاكيا حاله ، كلما عضة  
الالم ، او تكالبت عليه المصائب . قال يشكو الى الله ممرض والدء ، وما  
الحقه به من شقاء وألم "آه . ! رب ! اشقيتني وما اشقيت احدا من  
عبيدك ، رب ! عذبتني وانا عبيدك الذي لم يجذف باسمك ، ولا كفسر  
بنصمك ، رب ! رحماك . ! فان عبه القمدر علي شديدا " (٣)

- 
- (١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١٠١ .  
(٢) ابو القاسم محمد كرو ، الشابي حياته - شعره ، ص ٦٠ .  
(٣) من رسالة بعث بها الى صديقه محمد الحليوي وردت في كتاب ابو القاسم محمد كرو  
المرجع السابق ، ص ٦١ .

ويظهر ايمان الشابي العميق بالله حين يجد ان الدنيا ولهوها  
وكل ما بها من جمال ، وأسباب لذة ومتعة ، لا تستهويه عن عظمة الله .

ان من اصغى الى صوت الفنون وصدى الاحداث

ليس تستهويه الحان الطيور

بين ازهار الربيع الساحرة

وابتسامات الحياة الساحرة عن جلال الله (١)

ولعل احسن ما يوضح هذا الامر ، ويؤكد رسوخ العقيدة عند  
أبي القاسم ، هو ورد ابي القاسم نفسه على سؤال وجهه له صديقه  
محمد الحليمي يطلب فيه ابداء رأيه في بيت قاله الشابي :

حاملًا كالآله قلبًا كبيرًا فيه ما في الوجود من اكوان

فأجابه الشابي :

" ان الفنان يا صديقي لا ينبغي ان يصغي لغير ذلك الصوت القوي  
العميق ، الداوي في اعماق قلبه ، اما اذا اصغى الى الناس وما يقولون ،  
وسار في هاته الدنيا بأقدامهم ، ورآها بابصارهم ، وأصغى اليها بأذانهم  
فقد كفر بالفن وخان رسالة الحياة .

ولو شئت ان اسوق الابيات التي لي ، على فرار بيتك هذا ، في  
التشبيه بالاله ، لاكثر ، وخرج بي القلم عن غايته ، ولكنك ستري ذلك  
في الديوان ان شاء الله ، وانني لاعمق ايماننا بالله من كل احد ،  
حينما عبر بهاته التعابير الكافرة في نظراولئك الناس ، فالالوهية وما  
نعرف منها هي رمز للمثل العليا ، التي نصبو اليها بأرواحنا ، وتشخص  
اليها بابصارنا في هاته الحياة ، ولذلك اذا اردنا ان نهرب عن معنى

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٤٩

نحس له بجلال المثل الاعلى وسموه ، فانما سيلنا في ذلك ان نسرغ عليه رد الالوعية التي هي اسمى ما تتصوره الانسانية من جمال المثل الاعلى وجلاله " (١)

٥ - سوقه من القديم ودعوته الى التجديد :

تظهر دعوة الشابي للجديد ، ومحاربتة بعظم مظاهر القديم في كتابه " الخيال الشعري عند العرب " وقد القاه على شكل محاضرة في القاعة الخلدونية بتونس عام ١٩٢٩ .

والكتاب يحتوى ثمة وأربعين صفحة من القطع المتوسط ، تسع صفحات منها اهداء ، وكلمة المؤلف ، والمقدمة . اما الصفحات الباقية فقد تناولت الموضوعات التالية :

- ١ - الخيال : تعريفه ونشأته من وجهة نظر الكاتب
- ٢ - الخيال الشعري والاساطير العربية
- ٣ - الخيال الشعري والطبيعة في رأى الادب العربي
- ٤ - الخيال الشعري والمرأة في رأى الادب العربي
- ٥ - الخيال الشعري والقصة في رأى الادب العربي
- ٦ - فكرة عامة عن الادب العربي
- ٧ - الروح العربية

فهو حين تكلم عن : الخيال الشعري والاساطير العربية كان كل

وكده ان يثبت ان الخيال العربي كان قاصرا عن اختراع الاساطير والملاحم

(١) محمد الحليوي ، مع الشابي ، سلسلة "كتاب البعث" تونس ١٩٥٥ ، ص ٦٢ .

بمعناها الواسع كما عرفها اليونان القدماء ، ولكنه لا ينفي وجود اساطير  
عربية جاهلية الا انه يرى انها ضحيلة الخيال ، لا تدل على تعمق  
فلسفي في معنى الحياة ، والنور الس ما وراء الطبيعة فهو يقول :

"ورأيت في هذه الاساطير هو انما لاحظ لها من وضاعة الفن  
واشراق الحياء ، وان من المحال ان يجد الباحث فيها ما ألف ان يجده  
في اساطير اليونان والرومان ، من ذلك الخيال الخصب الجميل ، ومن  
تلك العذوبة الشعرية التي تتفجر منها الفلسفة الفضة الناعمة تفجر  
المنبع العذب<sup>(١)</sup>" ثم يعرض لعدد من الاساطير العربية ، مثل اسطورة  
الغول ، واسطورة الهامة ، واسطورة شياطين الشعراء ، واسطورة النجوم ،  
ليقول مقبلا عليها " فهل رأيت فيما تلوته عليكم من اساطير العرب واحدة  
تشرق بالفن والحياة ، كما يشرق الكوكب بالنور الجميل والوردة بالعطر  
الاربع ؟ وكذلك كانت اساطير العرب وثيمة جامدة جافية لسم  
تفقه الحق ، ولا تذوقت لذة الخيال ، وأوهام معرودة شاردة لا تعرف  
الفكر ولا اشتملت على شيء من فلسفة الحياة<sup>(٢)</sup> "

ومثل هذا الموضوع عرض له الكثيرون قبل ابي القاسم ويصده ،  
واحسب ان اشير هنا الى محاضرة القاها الدكتور سليمان ربيع ، على طلبة  
السنة الاولى للماجستير في الجامعة الازهرية بعنوان " خواص الشعر  
الجاهلي " الشعر الجاهلي فنائي لا قصصي ولا تعشيلي " نفس فيهما  
الدكتور وجود قصص جاهلي بالمعنى الحديث للقصة ، ونفس وجود ملاحم  
شعرية كذلك التي عرفها اليونان والرومان . مع ان مادة هذه القصص

(١) و (٢) ابو القاسم الشابي ، الخيال الشعري عند العرب ، الشركة القومية للنشر

والتوزيع ، تونس ، ١٩٦١ ، ص ٣٣ ، ٣٨ .

تسند توافرت في الجاهلية ، هذه حروب العرب فيما بينهم ،  
وبين الفرس والاعباش ، ثم حروبهم الداخلية التي جعلت ايامهم  
سلسلة وقائع وأيام ، وهذه اساطيرهم العادية الذاهبة الى ابعد  
أفقار الماضي ، وهؤلاء ابطالهم من الانس والجن ، وهذه تقاليدهم  
ومذاهبهم الخيالية والوهمية كلها مادة خصبة كافية تمسكن  
"لهوميهم" ان وجد ان ينظم اليانعة عربية حظيرة ، ويرد الدكتور  
ربيع عجز العرب عن ذلك التي اسباب تتعلق بالشاعر العربي نفسه ،  
وبالشعر العربي وخواصه ، وبالشعب العربي وحياته الاجتماعية  
ومواهبه النفسية " (١)

وهكذا يتضح ان هناك من اتفق مع ابي القاسم في هذا

الموضوع ولكن مع تلاف في الاسلوب وطريقة العرض .

أما في موضوع "الخيال الشعري والطبيعة في رأى الادب العربي" :

نجد الشابي يقرر ان الشاعر الجاهلي يشكل غاي ، والعربي بشكل  
علم لم يتفاعل مع الطبيعة ، ولم يتمثل ايحاءاتها ، وعرض لطائفة من  
شعر الطبيعة في العصرين الجاهلي والاموي ، وعقب على ذلك بقوله  
" فقد رأيت ان ادب هذين العصرين قد كان لا يعرض لوصف مناظر  
الطبيعة الا اذا دعت اليها الضرورة ، دون ان يسهب في الوصف ، ويشجع  
القول ، وكيف انه اذا تعدث عن ظواهر الطبيعة اسهب في القول وأطال  
البيان ولكنه في ذلك لا يتعدث عن الطبيعة بشغف الشاعر ، وخشوع المتعبد  
بل يتناولها تناول القاص الذي لا يحفل بجلال المشهد أو جماله وانما الذي  
يهمه ان يصفه كما رآه ، دون ان يخلع عليه حلة من شعوره او عباق من عواطفه .

(١) د . سليمان ربيع ، محاضرة القاها على طالب السنة الاولى للماجستير ،

في جامعة الازهر ، للعام الدرا سي ١٩٧٣ / ٧٢ ، ص ٨٥ - ٩٨ .

٩٨ / ٠٠٠



ويعمل ذلك بقوله : " وان لهذا علتة المقسولة ، فقد عاش العرب في وسط لا يعرف سحر الجمال الطبيعي ، فلم يتحدث اديهم عن هذا الجمال ، وكيف يتحدث عنه ، وعولم يعرفه ؟ ثم عولم يتحدث عن الطبيعة بلهجة المعجب المأخوذ ، لان الطبيعة لم تخلع على ارضهم من نضارة الحسن ما يحرك في قلوبهم ادق وشائج الحسن ، ويفتح قلوبهم لتذوق الوان الجمال . . . . . فخلت قلوبهم موصدة لا تعرف هاته اللذة ، ولا تفقه ذياك الشعور ، زيادة عن انهم لم يختلطوا بغيرهم من شعوب الارض اختلاطا كبيرا يلطف الطبع ويرقق المزاج " (١)

ثم يعرض لنماذج من الشعر العباسي عند شعراء اجادوا وصف المناظر الطبيعية من مثل ابي تمام ، والبحتري ، وابن الرواسي ، ويعلق على ذلك بقوله " ولكن هذا الفن الوليد لم يكثر كثرة مطلقة في الادب العباسي " (٢)

ويعرض لنماذج من شعر الطبيعة الاندلسي ويؤكد كثرته ، الا انه اخذ عليه وصفه الحسي للمنظر دون الاندماج فيه او تشخيصه .

ويصد ذلك يعرض نموذجين لشاعرين من شعراء العرب ، أولاهما " للامرتين " وأخرهما " لجيتي " ويقارن بينهما من جهة وبين نماذج عربية من جهة اخرى .

ويصل الى نتيجة " ان شعراء العربية لم يعبروا عن مثل هاته الاحساسات الشعرية العميقة لانهم لم ينظروا الى الطبيعة نظرة الحسي

(١) ابو القاسم الشابي ، الخيال الشعري عند العرب ، ص ٥٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٢ . . . . . / ٩٩

الخاشع الى الخي الجليل ، وانما كانوا ينظرون اليها نظرتهم التي رداً  
منمّق ، وطراز جميل ، لا تزيد عن الاعجاب البسيط (١)

والباحث لا يستطيع ان يفت امام رأى الشابي ويناقشه مناقشة تفصيلية  
لان ذلك خارج عن نطاق دراسته ولكن الذي أرى ان انوه به ، ان  
مقارنة الشاعر بين شعراء عرب عاشوا في العصر الوسيط بشعراء غربيين  
عاشوا في القرن التاسع عشر ، اختلفت بيئاتهم الطبيعية والاجتماعية  
والنفسية هي مقارنة ليست عادلة ، لم تراع تأثير الزمان والمكان . كما  
أرى ان الشاعر متأثر بآراء المدرسة الرومنسية التي كان لامرتين علما من  
اعلامها ، والتي تسبغ على الطبيعة الحياة ، وتدير معها حوارا  
تخاطبها ، وتسمع عمسها ، تذوب فيها ، وتشخص مناظرها ، ولكن الادب  
المصري في عصوره لم يخدم نماذج من ذلك . . .

أما في موضوع "الخيال الشعري والمرأة في رأى الادب العربي :

يرى ابو القاسم الشابي ان المرأة حظيت بقسط وافر من اهتمام الشاعر  
المصري ويرى " انهم تجاوزوا في التضني بالمرأة كمل حد حتى اصبحت  
هي اللحن الجميل الذي تستهل به القصائد ، وهي الكلمة السحرية  
التي تفتتح لها كنوز الشعر ، حتى اصبحت عند عم كاله الشعر عند  
قدماء اليونان ، لا يبدأون الشعر الا بنجواها " (٢)

ولكنه يأخذ عليهم اهتمامهم بجسد المرأة والمتعة بها ، ووصف  
محاسنها الظاهرة دون الفؤوس التي روحها . ويقسو الشابي قسوة عنيفة

(١) و (٢) ابو القاسم الشابي ، الخيال الشعري عند العرب ، ص ٦٢ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤

على الشاعر العربي وعلى الادب العربي حين يقول :

"اجل فان نظرة الادب العربي الى المرأة نظرة دنيئة سافلة  
منحطة الى اقصى قرار المادة ، لا تفهم من المرأة الا انها جسد يشتهي  
ومتعة من متع الميش الدنيء . . . فالشاعر العربي لا يتكلم عما وراء  
جسد المرأة من تلك المعاني العميقة السامية ، ولكنه مجيد كل الاجادة  
ان اراد ان يحدث عن قدها الا عيف المشوق ، وعن طرفها اللامع الوسنان  
وعن وجهها المتورد المنصور وعما الى ذلك من تلك الاوصاف المادية  
اللقاء امام كل رائح وغاد" (١)

ثم يعرض نماذج شعرية من الغزل الحسي العربي ، ليصاود القول  
"فنظر الادب العربية الى المرأة كنظرها الى الطبيعة او ادنى ، لا سمو  
فيه ولا خيال ، وانما عوى مادي محض لا يكاد يرى فرقا بين المرأة  
والسرداء وكأس من الخمر ، فالمرأة تتخذ لاشباع شهوات الجسد ، والرداء  
يقي الجسم عماجرة الصيف ، ويدفع عنه عادية الشتاء ، وكأس الخمر  
يتلهم به آناء الفراغ" (٢)

ولكن اذا كانت هذه مأخذ الشابي على شعراء العرب فسي  
موقفهم من المرأة فما هو الموقف الذي يريد ؟ أو ما هي نظرة الشابي  
للمرأة ؟ انه يود ان يتغنى العاشق بجمال محبوبته الروحي ، لا يتغنى  
بتلك المرأة التي تضم وتشم ثم تتصوح وتذوى . يود ان يتكلم العاشق  
عما وراء جسد المرأة من شعور سماوي رقيق ، وعاطفة ندية ساجسة ،  
واحلام عذبة ستحبه تتألق سناء وبهجة ، وتشمل العالم كله بالعطف  
والحنان" (٣)

(١) و (٢) و (٣) ابو القاسم الشابي ، الخيال الشعري عند العرب ، ص ٧٣ ، ٧٤ ،

٧٧ ، ٩٠ ، ٩١ .

ولكني قبل ان ابدى رأبي ، أود أن أسأل سؤالا ، هل التزم الشابي  
بدعواه ؟؟ هل نظر الى المرأة نظرة روحية فحسب ؟؟ ألم يتفزل  
الشابي بمفاتن محبوبته الجسدية ؟؟ ألم يلذ بتمتعة جسدية منها ؟؟  
دعونا نقرأ بعض الايات من قصيدته تحت الفصون . (١)

ما ارق الشباب في جسمك الغض وفي جيدك البديع الثمين  
وادق الجمال في طرفك الساعي وفي ثغرى الجميل الحزين  
وألذ الحياة حين تغنين فأصغي لصوتك المحزون

احب الشاعر فتاته ورننا اليها ، ثم اشتبه قبلة ، بل قبلها :

قالت الحب ثم فنت لقلبي قبلا عبقرية التلحين  
قبلا علمت فؤادي الاغاني وأنارت له ظلام السنين

ولما أفاق الشاعر من متعة القبلة الحارة قال :

وأقننا ، ققلت كالحالم المسحور " قولي ، تكلمي ، خبريني "  
اي دنيا مسحورة أي رؤيا طالعتني ، في ضوء هدى الميون "

ثم يقول :

أي خمر رشفت ، بل اي نار في شفاء بديعة التكوين  
اي اثم مقدس قد لبسنا برده في مسائنا الميون

ثم يعود يناجي محبوبته :

قبليني واسكرى ثغرى الصادى وقلبي ، وفتنتي وجنوني  
آه ، ما اعذب الغرام واحلى رنة اللثم في خشوع السكون

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص (١٢١) .

ثم ينهي قصيدته ، معبرا اجمل تعبير عن لذة اللقاء :  
وسكرنا هناك ، في عالم الاحلام تحت السماء ، تحت الفصون  
وتواري الوجود عنا بما فيه وغبنا في عالم مفتنون  
ونسينا الحياة ، والموت والسكون وما فيه من منى ومنون

ان رأى الشابي في المرأة - الذي سبق ذكره - هو مثالي بعيد عن الواقع ، فالمرأة عنده خير كامل وطهارة كاملة ، ونور شفاف يهبط على حياة الانسان فيحمل اليه كل ممانى السعادة الروحية العميقة لم يصرف الشابي ابدا الاعماق التي عرفها " المزاج الواقعي " والذي ينظر نظرة انسانية الى الحياة لا نظرة " ملائكية " مبنية على الخيال ، فالنظرة القديمة على المرأة على انها كائن حي تابع للرجل نظرة خاطئة ، ولكن النظرة المقابلة ايضا والتي تعتبر المرأة كائنا اعلى من الكائن الانساني كائنا شفافا يوزع السحر ويشع منه النور ، هذه النظرة ليست صحيحة بصورة مطلقة ، فالمرأة كائن انساني ، وعضو في المجتمع وينطبق عليها ما ينطبق على الرجل من تقاييس الخير والشر" (١)

اما موضوع - الخيال الشعري والقصة في رأى الادب العربي :

فقد اخلص منه بأن العرب لم يعرفوا القصة الشعرية أو الشعرية بمعناها الفني ، سوى بعض القصص الشعرية عند امرئ القيس ، وعمر بن ابي ربيعة والتي تحققت فيها - خاصة عند عمر بن ربيعة - بعض الشروط في

(١) رجاء النقاش ، ابو القاسم الشابي شاعر الحب والثورة ، ص ٦٩ .  
١٠٣ / ٠٠٠

القصة الحديثة . وان القصر النثري ، لم يعرفه العرب الا بعد ترجمة  
- أثليله ولبله - و - كلية ودمنه - (١)

ولعل اخطر موضوع هو - فكرة عامة عن الادب العربي - :

وكان خلاصة لدراسة عن الموضوعات السابقة ، وانتهى بأحكام قاسيه ، وصم  
فيها الادب العربي بأنه " مادي لا سموفيه ولا المهام ولا تشبوه الى  
المستقبل ، ولا نظر الى صميم الاشياء ولباب الحقائق ، وانه كلمة ساذجة  
لا تعبر عن معنى عميق بعيد القرار ولا تفصح عن فكر يتصل بأقصى  
ناحية من نواحي النفوس ...

وحاول ابو القاسم ان يبرر قوله ، وفي ذهنه ان كلامه لن يلقى  
تأييدا من الجميع وان ثقة من انصار القديم ستنهض لمناومته .

" على اننى حين اقول هذا الذى قد يراه بعض الناس خطيئة  
لا تنفر ، لا انكر ان الادب العربي قد اجاد ايما اجادة فيما تخصص فيه  
من وصف المظاهر البادية وما بينها من تخالف أو تآلف أو تشابه أو  
تنافر ، بل ربما فاق كثيرا من الاداب الاخرى في هذا الصدد ، ولا  
أقول ان الادب العربي جامد ميت لم يمثل منازع تلك الشعوب التي  
عاش بينها تشبها صحيحا ولا تقدم لها غذاءها الروحي الذي تتطلبه  
اشواقها ومشاعرها ، لان الادب العربي كان في جميع المصور التي  
تحدثنا عنها ادبا حيا صحيحا فياضا بكل ما تصبو اليه آمال تلك  
الشعوب من صور الحياة ومشاكلها المختلفة " (٢)

(١) و (٢) ابو القاسم الشابي ، الخيال الشعري عند العرب ، ص ٩٣ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ،

اذا كان هذا هو رأي ابي القاسم في الادب العربي ، وانه ادب  
حي عبر عن مشاعر الامة واعدا فيها ، وحمل فكرها ، ونوه باتجاهاتها ،  
فما الذي يريد ابي القاسم منا ؟

انه يرى ان الادب العربي القديم خدم عصره ، وعبر عن نفوس  
اصحابه ، ونحن بالتالي يلزمنا ادب يخدم عصرنا ، ويعبر عن نفوسنا  
"لهذا لا ينبغي لنا ان ننظر الى الادب العربي كمثل اعلى للادب الذي  
ينبغي ان يكون ، ليس لنا الا احتذائه ومحاكاته في اسلوبه وروحته  
ومعناه ، بل يجب ان نعده كأدب من الادب القديمه التي نعجب بها  
ونحترمها ليس غير ، اما ان نسمو هذا الاعجاب الى التقديس  
والعبادة والتقليد فهذا ما لا نسمح به لانفسنا ، لان لكل عصر حياته  
التي يحياها ، ولكل حياة ادبها الذي تنفخ فيه من روحها  
التشبيب (١)

وكان ما توقعه الشاعر ، فهو هجوم هجومًا عنيفًا ورمي بمحاربة الماضي  
وامجاده وعقوق آباءه واجداده ، وبالشجيرة على المقاييس السائدة ، والطرائق  
الذائمة ، وبالسخرة من التراث القدس الجليل ، وتشويهه بحاسنه ،  
ومسخ جماله ٠٠٠ وقد نقده الكثيرون في داخل تونس وخارجها ،  
ولعل اشهرهم الدكتور مختار الوكيل ، ولكن كيف دافع الشاعر عن  
نفسه ؟ وما هي المبررات التي ساقها ، لنسمع ما قاله ردا على نقد  
الدكتور مختار الوكيل " انني اذا كنت ادعو الى التجديد الادبي ، واعمل  
له ، فان ذلك لا يدفني الى الهزء والسخرية بأدب الاجداد ، كما

---

(١) ابو القاسم الشابي ، الخيال الشعري عند العرب ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

قد حسبت ، بل انني لأؤمن بكل الايمان بما فيها من جمال فني وسحر  
قوى ، واعتقد انها آتت في عصورها الحية لاجدادنا كل ما ظمحت اليه  
اشواقهم ، من غذاء معنوي دسم ، ولكنني أؤمن الى جانب ذلك ان في  
الحياة آفاقا مجهولة ساحرة ، غير ما في الادب المرهي من آفاق ، وان  
هذا الادب قد بُدئ خلة آبائنا الروحية ، فانه لما جز كل المعجز ان  
يشبع ما في ارواحنا من جوع وعطش وطمح ، وانه اذا كان لزاما علينا  
ان نمجّب بهذا الادب ونفخر به كحلقة من سلسلة ذاتيتنا العربية  
وكنجم ذعبي نرجع اليه كلما اردنا ان نصوغ لافكارنا حليها الساحر  
الجميل ، فان ذلك الاعجاب لا ينبغي ان ينقلب في نفوسنا الى تقديس  
فسيادة فجمود ، فاطهباق لا بصارنا عن كل ما في السماء من اشعه  
ونجم (١) .

ولكن هل استطاع ابو القاسم ان يفلت من زمام القديم ، وان لا ينسج  
على منواله ، ويستعير ممانه ؟ " انك تجد في بعض مقطوعاته مسا  
يذكرك بالمتنبي ، في ارساله الحكمة السائرة ، وبأبي العملاء في ارتقائه  
الى سر من اسرار الحياة فهو يقول في مقطوعة المجد :

|                               |                                       |
|-------------------------------|---------------------------------------|
| يود الفتى لو خاض عاصفة الردى  | وسد الخميس المجر والاسد الورد         |
| ليدرك امجاد الحروب ولودرى     | حقيقتها ، ما رام من بينها مجدا        |
| فما المجد ان تسكر الارض بالدا | وتركب في هيجائها فرسا نهيدا           |
| ولكنه في ان تصد بهمة          | عن العالم المرزوء ، فيض الاسى صدا (٢) |

(١) ابو القاسم محمد كرو ، الشابي حياته ، شمسه ، ص ٥٢ ، ٥٨ .

(٢) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٥٢ . ١٠٦/٠٠٠



فأنت تجد في هذه الأبيات ما يذكرك بشعر المتنبي ، في وصف  
مشارك سيف الدولة " فخور عاصفة الردى " و " صد الخيمس المجر " و " الاسد  
الورد " لم تكن من ابتكار الشاعر بقدر ما هي تقليد للمتنبي في قوله :  
ولا تحسين المجد زقا وقينة      فما المجد الا السيف والفتكة المهكر

وانت حين تقرأ قوله " سرمع الدهر "

سرمع الدهر لا تصدك الاحوال ، او تفزعك الاحداث  
سرمع الدهر كيفما شاءت الدنيا ، ولا يخدعك النفث  
فالذي يرهيب الحياة شقي ، سخرت من مصيره الاجداث (١)

فيه تقليد للحكمة عند المتنبي وأبي تمام والمصري ، فالترجمان الدهر  
شيء واضح في الادب القديم .

ومع ان الشابي هاجم القديم الا انه ظل رهين اساره ، فهو لم  
يستطلع الافلات من الموازين الشعرية القديمة ، وقد بلغ من حفاظه على  
القديم انه كان يعتمد الس لون من ألوان المصارفة ، فحين تقرأ قصيدته  
" مفرجة من كتاب الدموع " ومثلها :

فناه الامس وأظربه      وشجاء اليم فما غده ؟

تذكرنا بقصيدة الحمري الشهيرة :

يا ليل الصب متى غده      اقيام الساعة موعده ؟

بل انك تجده يقتبس مصابي القدماء ، فيقول من القصيدة نفسها :

يا للايام فكم سمرت      قلبا في الناس لتكده

هي مثل الماهر عاشقها      تسقيه الخمر وتطرده

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٥٢ .

- تعطيك اليوم حلاوتها كالشهد ليسلمها فده (١)  
تذكرنا بما قاله الشريف الرضي في رثاء أمه (٢)  
وخلائق الدنيا خلائق موسى للمنع آونة وللإعطاء  
طورا تبادلك الصفاء وتارة تلقاك تنكرها من البغضاء

## ٦ - أشار الشابي الأدبية :

ترك الشابي آثارا أدبية ونثرية وشعرية ، أهمها :

- (١) ديوانه أغاني الحياة :  
ويقع في ثثة وأربع وتسعين صفحة قياس  $10\% \times 22\%$  ، ويضم تسعين قصيدة ، ومقطوعة شعرية ، قدم له أخوه محمد أمين الشابي ، طبع الديوان في مصر عام ١٦٥٥ ، التزمت بطبعه ونشره ، دار الكتب الشرقية .

اختار الشابي لديوانه اسم " أغاني الحياة " واعتمه طبعه في مصر بإشراف وتقديم صديقه الدكتور أحمد زكي أبو شادن " وأعلن أبو شادن في عدد يناير ١٩٣٤ من أعداد مجلة أويلو ، قرب ظهور ديوان الشابي " أغاني الحياة " إلا أن موثر الشابي ووفاته بعد ذلك في التاسع من أكتوبر عام ١٩٣٤ حال دون ظهوره آنذاك . (٢)

- (١) أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص ١٠٦ ، ١٠٢ .  
(٢) د . إبراهيم السامرائي ، نصوص ودراسات عربية وأفريقية في اللغة والتاريخ والأدب وزارة الإعلام ، مديرية الثقافة العامة العراقية ، سلسلة الكتب الحديثة ص ٣٦-٣٨ .  
(٣) د . محمد عبد المنعم خفاجي ، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، الحلقة الأولى ، دار الطباعة المحمدية ، بالأزهر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٢٥٢ .  
١٠٨ / ٠٠٠

وقيل ان الشابي كان ينسوي ارسال ديوانه لصديقه ابي شادي في نفس اليوم الذي توفي فيه . (١)

مات الشابي والديوان ينتظر من يقوم بضمه وتوزيعه ، وانتظره عشاق الشابي بفارغ الصبر ، ولكن الديوان لم ينشر الا عام ١٩٥٥ بعد احدى وعشرين سنة من وفاة صاحبه .

وافقد الديوان في اخراجه ، الكثير من مميزات الديوان الجيد ولعل اهمها افتقاده تاريخ القصائد ، التي تتيح للدارس تتبع مراحل التطور التي مر بها ابو القاسم في حياته الادبية ، مع ان ابا القاسم كان قد رتب قصائده وفقا لتواريخها ، وظهر ذلك في رسالة ارسلها الى صديقه محمد الحلوي بتاريخ ١٩٣٣/٢/١٦ ، قال فيها " ٠٠٠ أما الآن فاني انتخب القصائد التي سأشعرنا فيه ، واجمع تواريخها لارتبها على حسبها . (٢) "

كذلك فان الديوان ينقصه التيسير والترتيب ، فلم ترتب القصائد فيه وفق ابجدية القوافي ، أو وفق موضوعاتها ، اضف الى ذلك اخضاء الطباعة المديدة . . . .

(٢) الخيال الشعري عند العرب :

محاضرة القاها الشاعر تحت اشراف النادي الادبي ، التابع لجمعية

---

(١) ابو القاسم محمد كرو ، آثار الشابي وسداه في الشرق ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت الطبعة الاولى ، فبراير ١٩٦١ ، ص ١٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩ . ١٠٩/٠٠٠

قدماء خريجي المدرسة الصادقية في تونس، وكان قد القاها في قاعة الجمعية الخلدونية يوم ٢٠ شعبان ١٣٤٧ - ١٩٢٩ .

ويقع الكتاب في ثلثة وأربعين صفحة ، من القطع المتوسط ، وطبع الكتاب في نفس السنة ، وتولت نشره " دار العرب " للطبع والنشر في تونس ، لصاحبها الاستاذ زين العابدين السنوسي ، وهو الذي كتب مقدمته .

واعيد طبع الكتاب عام ١٩٦١ ، بإشراف الشركة القومية للنشر والتوزيع بتونس .  
وموضوع الكتاب هو دراسة نقدية مقارنة بين الخيال الشعري عند العرب وعند الاوروبيين .

( ٣ ) القسيرة :

رواية غير منشورة ، ذكرها الاستاذ كرو ، نقلا عن الاستاذ زين العابدين السنوسي ، في كتاب الاخير " الادب التونسي في القرن الرابع الهجري " (١)

( ٤ ) جميل بئينه :

قصة جميلة ، موجودة اليوم عند شقيقه الاستاذ أمين الشابي .

( ٥ ) شعراء المغرب العربي :

دراسة لكتاب الاستاذ محمد المباسي القباچ - الادب العربي في المغرب الاقصى - تناول الشابي الجزء الخاص بالشعراء الشبان

---

(١) ابو القاسم محمد كرو ، الشابي حياته ، شعره ، ص ١٣٦ . ١١٠ / ٠٠٠

بالدراسة والتحليل ، ليلقيها محاضرة في النادي الادبي ، ولكنه لم يلق في النادي من يستمع اليه ، فتركها مخطوطة .

( ٦ ) يوميات الشابي :

وهي مجموعة من المذكرات اليومية كتب فيها الشاعر خواطره ، وهي موجودة عند صديقه الاسنان ابراهيم ابورقمه بمدينة صفاقس .

( ٧ ) رسائل الشابي :

كان قد وجهها لاصدقائه ، وهي تحمل الكثير من وجهات نظره ومن اشهر اصدقائه الذين تبادل معهم الرسائل : محمد الحليوي ، احمد زكي ابوشادي ، ابراهيم ناجي .

( ٨ ) الادب العربي في العصر الحاضر :

دراسة قصيرة تقع في احدى عشرة صفحة ، قدم بها ديسان " الينبوع " للشاعر ابي شادي ، ضمنها آراء في الادب الحديث ورأيه في الشاعر الدكتور احمد زكي ابوشادي .

( ٩ ) السكر :

مسرحة ذات فصلين .

( ١٠ ) الهجرة المحمدية :

محاضرة ألقاها الشاعر في " نادي الطلاب " بـ ( نموزر " بمناسبة ذكرى الهجرة المحمدية في سنة ١٢٥١ هـ .

( ١١ ) مقالات مختلفة :

نشرها في الصدييد من الصحف العربية في مصر وتونس أهمها

- ( ١ ) النفس التائهة
- ( ٢ ) القظة الالامية الالاضرة
- ( ٣ ) الشعر ماذا الالجب ان الالفهم منه وما هو قياسه الالصح
- ( ٤ ) الالها القلب
- ( ٥ ) الالغنية الالالم
- ( ٦ ) صفالال دالالمة من الالياة لشاعر
- ( ٧ ) الالروح الالائرة
- ( ٨ ) الالقظة الالاحساس والالثرها في الالفرء والالجماعة
- ( ٩ ) الشعر والشاعر الالندنا
- ( ١٠ ) لالوصية الشعر
- ( ١١ ) الالفنون والنفس الالعربية (١)

\* \* \*

---

(١) الالاعتدت في الالوضوع آثار الشالابي الالعلن ما أورده ، الالابوالقاسم الالمحمد كرو ، في كتابه

الشالابي الالياة ، شعره ، ص ١٢٠ - ١٣٢ . ١١٢/٠٠٠

البسات الثاني  
شعره وشاعريته

## الفصل الأول

١ - تجريرته الشعريه

٢ - منزلته الشعريه

١ - تجريرته الشعريه :

أ ( مفهومه للشعر :

لعلّ خير مما نبدأ به حين نتحدث عن تجربة الشابي الشعريه ، ان نتعرف على مفهومه للشعر ، وأن نعترف مقاييسه عنده ، هل الشعر في رأيه هو كل كلام موزون مقفى ، أم أنه احساس يختلج في نفس الشاعر فيحبر عنه هل الشعر عنده هو تلبية لمناسبة دعوي للمساهمة فيها ؟ أم أنه تلبية لادساس اعتمل في صدره ؟ دعونا نستمع اليه في قصيدته " شعري " (١)

|                   |                   |
|-------------------|-------------------|
| شعري نفاثة قسلي   | ان جاشرفيه شعوري  |
| لولا ما انجاب عني | غيم الحياة المطير |
| ولا وجدت اكتسابي  | ولا وجدت سروري    |
| به تراني حزينا    | أبكي بدمع حزينا   |
| به تراني طرويا    | أجر ذيل حبوري     |

فالشعر عنده استجابة للنفس في شتى أحوالها وتعبير عن الحس في كل صوره ، يعبر فيه عن حزنه ان حزن ، وعن سروره

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٣٣ ١١٤ / ٠٠٠



أن سر .

وفسي قصيدته " قلت للشعر " (١)

|                           |                             |
|---------------------------|-----------------------------|
| انت يا شعر فسلذة من فؤادي | تتغنى ، وقطعة من وجودي      |
| فيك ما في جوانحي من حنين  | أبدي الذي صميم الوجود       |
| فيك ما في خواطري من بكاء  | فيك ما في عواطفي من نشيد    |
| فيك ما في عوالمي من نجوم  | ضاحكات ، خاف الغمام الشroud |
| فيك ما في عوالمي من ضباب  | وسراب ويقظة وهجـود          |
| فيك ما في طفولتي من سلام  | وابتسام وغبطة وسـعود        |
| فيك ما في شببتي من حنين   | وشجون ، وبهجة وجمود         |

فالشعر عنده هو الحياة كلها بصورها المتعددة ، فيسه  
احلام طفولته ، وطموح شبابه ، فيه حبه للحياة ، فيه تهيئة  
من الفناء ، فيه غناؤه للنجوم ، وطربه لانا شيد الطيور فينه  
ربيع عمره وخريفها ، شتاؤها وصيفها . بل الشعر عنده هو  
قصة عمره كلها :

انت يا شعر قصة عن حياتي انت يا شعر صورة من وجودي

اذن فالشعر عند الشابي ، هو ما يصدر عن النفس ، صدور  
الاشعة عن الشمس ، والاريج عن الزهر ، دون تعمل أو تكلف ،  
فذات الشاعر منبع شعره ، وان كل ما يقوله يجب ان يصدر عنها  
دون خضوع لملاسات ، أو مناسبات تملي عليه . . . . . استمع اليه يعرف  
الشعر ، " الشعر يا صديقي ، التصوير وتعبير " ، تصوير لهذه الحياة

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٨٦ .

التي تمر حواليك ، مغنية ضاحكة لاهية ، أو مقطوبة واجمه بأكية ،  
أو وداعه حاله راضيه ، أو مجدفة ثائره ساخطة ، أو تصوير لآثار  
هذه الحياة التي تعسر بها في اعماق قلبك ، وتقلبات فسكرك ،  
وخلاجات نفسك ، وفسرفة أحلامك وعواطفك " (١)

فالشعر عنده ، هو الانفعال ، وجودة التعبير عن هذا  
الانفعال ، مما جعل بعض الناقدين يرى ان الشعر هو " مرض "   
أبي القاسم ، لقد كانت العواطف عنده مرضا ناهشما يلهث ، واتعبه  
الشعر حتى قتله ، ان الشعر قد كان هو السل الأكبر في حياة  
هذا الشاعر المشتعل ، ومن اجله عاثر يتفذب بكل جمال يمر  
به وان كان عذابه لذيذا . (٢)

ولكن اذا كان الشاعر قد حدد لنا من أين يجب ان ينبع  
الشعر ، فانه لا يكتفي بذلك ، فمع اهتمامه بضمون الشعر ،  
وسدق التعبير ، يجد ان مثل هذا الصدق لا بد ان يعتويه شكل  
فني ، والا هبط من سماء الفن الى درك الحضيض ، فالشابي من  
القائلين بأهمية المضمون والشكل في الفن ، وانه لا كرامة لمعنى  
في ثوب غلط ، ولا كرامة لووشي يكسو جسما ضحلا ، وهو في ذلك  
يقسول :

" والتحصير عن تلك الصور أو هياته الآثار بأسلوب فني جميل ،  
سأوه القوة والحياة ، يقرأه الناس فيعلمون انه قطعة انسانية من  
لحم ودم ، وقلب وشعور لانهم يحسون انه قطعة من روح الشاعر

(١) ابو القاسم محمد كرو ، الشابي حياته وشعره ، ص ٢٧٠

(٢) نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، منشورات مكتبة النهضة ، بيروت ،  
الطبعة الثالثة ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

وعبق من عواطفه ، أو فلسفة حياه من فؤاد الحياة (١)

ويسرى الشابي ان الشكل الفني يجب ان يقدر على قسدر  
المضمون ، وأن يتناسب معه ، كما تتناسب الملابس الجيدة الصنعة  
مع اجسام لابسها ، فلا فائدة من ملابس مترهل يكسو جسما نحسلا  
ولا فائدة من ملابس ، تميد حركة لابسها ، كذلك هو الشكل الفني  
يجب ان يكون على اقدار المعاني خادما لها ، معبرا عنها اجمل  
تعبير ، يقول : " هذا هو الاسلوب الذي يكون دائما كضوء القمر  
حينما يمثل سخط الحياة ، أو ثوران العواطف ، ويكون دائما كضوء  
القمر ، حينما يمثل طمأنينة الحياة وسكون النفس ، ويكون رقيقا  
شجيا كأنات ناي بعيد ، حينما يمثل احلام الحياة ، ونجوى القلوب  
المتحابة ، ويكون كهيأ مظلمة كقلب الظلام ، حينما يمثل بؤس الحياة  
وأحزان البشر " (٢)

ويسرى الشابي ان صدق المشاعر ، ودقة التصوير ، هي المقياس  
الوحيد للمشعر ، " فالتصوير الصادق ، الذي يسريك تصورات الشاعر  
أرقى من تصورات البشر ، والتعبير الفني الجميل الذي يكون قابلا  
انسانيا حيا ، لذلك المعنى الذي يشمل ذلك ، هو الذي ينبغي  
لك ان تبعث عن ، كلما قرأت قصيدا ، أو تلوت مقطوعا ، أو تصفحت  
ديوانا ، فان وجدته فكن على يقين انك انما تقرأ شعر الحياة  
وان اخطأته ، فاعلم انك تقرأ شعرا زائفا لا قيمة له في سوق  
الخلود " (٣)

---

(١) ابو القاسم محمد كرو ، الشابي حياه وشعره ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ .  
١١٧/٠٠٠

ويعتد ان أوضح الشاعر مفهومه من حيث مضمون الشعر وشكله دعنا نستمع اليه يحدثنا عن الاثر الذي ينبغي ان يحدثه الشعر في قارئه ، وما هي مقاييس الحكم عليه صادقا كان أو غير صادق " لكي تدرك هذه الحقيقة فانظر هل هو من ذلك النوع الذي يوسع أفق الحياة في نفسك ، ويجعلها محس بتغيرات الوجود أكثر مما تحس ، وتدرك من معانيه وأصواته أكثر مما ألفت أن تدرك ، وينسبك وجودك الانساني لحكمة تستغرق في عالم الجمال المطلق الذي يخلقه الشاعر حواليك ، ويسخ منه على نفسك ، أقول انظر فان كان من هذا النوع فاعلم انك تقرأ شعرا الهيبا لا تجود بمثله الحياة كثيرا ، والا فاعلم انك تقرأ مثلا دون ذلك" (١)

ويؤمن الشابي ان الشاعر ، محثأثره بالحياة الاجتماعية ، وبالظروف الطبيعية التي تعيطنه ، وبمعالجه النفسي الذي يجول فيه ، لا يستطيع ان يعبر عن ذلك كله بشعر صادق ، الا اذا شعر بالمعاناة بحق ، وصد في ذلك عن احساس مرهف ، وتمثل واع بكل ما يجري " فالشاعر لا يستطيع ان يخرج عن نفسه التي بين جنبيه ، وما في هذا العالم من سحر ولذة وألم ، وما خطلتسه الانسانية من فن ورأى ودين ، ولكنه حين يتحدث اليها بذلك في آثاره لا يتحدث به الا بعيدا ان يحيا في قلبه ، ويتوحد في حياته ويتضح بأضواء نفسه المشرفة ، فتبرز آثاره للدنيا موسومة بموسمه ومطبوعه بطابعه الذي لا يسزول" (٢)

- 
- (١) ابو القاسم محمد كرو ، الشابي حياته وشعره ، ص ٢٧١  
(٢) ابو القاسم الشابي ، الادب العربي في العصر الحاضر ، مقدمة ديوان الينبوع احمد زكي ابوشادي ، الطبعة الاولى ١٩٣٤ ، صفحه ر ، ش .  
١١٨ / ٠٠٠

وبعد أن أوضح مقاييس الشعر الجيد ، يوضح مقاييس الشاعر الجيد فالشاعر عنده " هو الذى تقرأ شعره ، فتجده فيه انسانا من لحم ودم يحيا ويتنفس ، ويشعر ويفكر ، ويجاونا بالعطف والحس والخيال ، وينسنا لحظة وجودنا المحسوس ، بما يخلعه علينا من جمال الفن وصوره ، ويرتفع بمشاعرنا فوق دنيا هذا العالم ومدقراته ، اذا وجدنا هذا الشاعر ، فلنقرأه نسي ثقة وايمان بأنه شاعر حقا . . . والشاعر العظيم هو الذى يوفق في فنه الى المعادلة بين نسب العاطفة والفكر والخيال ، والاسلوب والسوزن ، بحيث يجعل بينها التجاوب الموسيقى الذى ينسجم في القصيدة انسجام النور والعطر ، والماء والهواء في الزهرة الجميلة الياقة" (١)

وحتى يتسنى للشاعر ذلك ، يجب عليه ان يمنح الحرية ، فيجدد ما شاء في اسلوبه ، وطريقته في التفكير والعاطفة والخيال ويستلم ما شاء من كل هذا التراث المعنوى العظيم الذى يشمل كل ما ادخرته الانسانية ، من فن وفلسفة ورأى ودين ، لا فرق في ذلك بين ما كان منه عربيا أو أجنبيا .

### ب) تأثيره بالمدارس الادبية المختلفة :

ولكن كيف تحقق لابي القاسم ، مفهوم الشعر هذا ؟ هل هو وليد صادفة ؟ ام نتيجة كثرة اطلاع وتأثر بالمدارس الادبية المختلفة ؟

---

(١) ابو القاسم الشابي ، الادب العربي في العصر الحاضر ، مقدمة ديوان الينبوع - احمد زكي ابو شادي - الطبعة الاولى ١٩٣٤ ، صفحته ٥٠٠  
١١٩/٠٠٠

لا شك ان الانسان مهما بلغ من العبقرية والنبوغ ، لا يمكن أن يصوغ نظرية أو يفتق ذهنه عن اختراع ، إلا بالدراسة العميقة الواعية المدعمة بذكاء وفطنة ، للعديد من المنجزات القومية والانسانية ، فما هي المؤثرات العظام التي صقلت مفهوم الشابي للشعر ، واثرت في شعره ؟ واجيب ان تجربة الشابي الشعرية قد تأثرت بما يلي :

### ١ - تأثره بالادب العربي القديم :

نشأ الشابي في اسرة محافظة ، فكان ابوه عالما من علماء الازهر ، تضم مكتبته العديد من الكتب الدينية واللغوية والادبية التي كانت مدرسته الاولى ، ثم انتقل بعد ذلك الى جامع الزيتونة وهو معقل الثقافة العربية الاسلامية في تونس ، وفيه تلقى علومه وثقافته ، واكسب على دراسة العديد من امهات الكتب العربية ، من امثال الافاني ، والشعر والشعراء ، والكامل ، والعقد الفريد وغيرها ، كلها امدته بحصيلة لغوية ، وساعدت على اشراق اسلوبه .

### ٢ - تأثره بقراءاته للاداب الاجنبية وبمدرسة الديوان :

مع ان الشابي كان يجهل اللغات الاجنبية ، الا انه ألح على قراءة ما ترجمه منها ، اعلام الادب العربي في مصر ، من امثال العقاد ، وابراهيم ناجي ، والمازني ، وغيرهم ، فكتيرا ما قرأ لشاعر الرومانسيه " لامارتين " وقرأ عما ترجم من آثار " دي موسي " وهو جوفيرهم ، وكان لقراءته هذه ابعث الاثر في تجربته الشعرية بل انه تحيّر لهؤلاء ، واتخذهم في كثير من الحالات قدوة له وعقد بينهم وبين شعراء العربية العديد من المقارنات .

وتأثره بمدرسة الديوان واضح كل الوضوح فمفهوم الشعر عنده لا يختلف كثيراً عن مفهوم الشعر عند العقاد .

### ٣ - تأثره بجماعة أوصلو :

تأثر أبو القاسم الشابي تأثراً مباشراً بجماعة "أوصلو" تلك المدرسة الأدبية التي أقامها الدكتور أحمد زكي أبو شادي في سبتمبر ١٩٣٢ ، وتمتاز هذه المدرسة بدعوتها للجديد ، وقد ضمت في عضويتها العديد من شعراء العربية وأدبائها ، في مصر وغيرها من بلاد العرب ، انتسب أبو القاسم إلى هذه الهيئة التي طالما قرأ مجلتها - أوصلو - ووجد فيها ما يروى ظمأه في تطلعه نحو الجديد ، ونشرت له هذه المجلة بعض قصائده قبل ان ينتسب إلى عضويتها ، ولكنه سرعان ما اشترك فيها ، وقبول اشتراكه بالترحيب ، وهو يروى قصة علاقته مع "أوصلو" في رسالة بعثها إلى صديقه محمد الحلوي يقول " أما علاقتي أنا "أوصلو" فقد حدثت في رسالتي السالفة ، بأنني وجهت لها قصيدتين ، ومعلم الاشتراك ، وطلبت من صاحبها ان يوجه إليّ الأعداد الأولى منها ، وقد ورد عليّ كتاب منه بعد ذلك ، وطيبه معلم الاشتراك نفسه قائلاً " انه يستحييني عذراً في ارجاعه لان المجلة توجه إليّ كهدية خالصة ، وصحبته ورقه مطبوعة فيها طلب العضوية لجمعية "أوصلو" وطلب مني تعميرها وعضائها وتوجيهها حتى يضمن اسمي في ثبوت اعضائها ، كما طلب مني ان ارسل صورتي لتتشر بالمجلة مع شعري ، وقد ضمن رسالته مناسحت به نفسه من ثناء واعجاب ، كما اهدى إليّ نسخة من

ديوان له اسمه " اشعة وظلال " ووجه النبي الاعداد الاولسى  
من المجلة " (١)

وقد ربطت ابو القاسم صداقات حميمة بعدد من اعضساء  
هذه الهيئة من امثال ابراهيم ناجي ، وعبد العزيز عتيق ، واحمد  
زكي ابو شادي . وكان ابو شادي شديد الاعجاب بعبقرية الشابي  
الشعرية ، ومما يظهر مدى اعجابيه طلبه من ابي القاسم ان يكتب  
مقدمة ديوانه " الينبوع " الذي صدر في عام ١٩٣٤ في نفس العام  
الذي توفي فيه الشابي .

كما كان ابو شادي يزمع نشر ديوان ابي القاسم - افاني  
الحياة - ، قيل أن أبا القاسم كان ينوي ارسال ديوانه الى ابي  
شادي في نفس اليوم الذي توفي فيه .

وعندما توفي الشابي كان مجموع ما نشره عن شعره في  
مجلة " أوطلو " اربع عشرة قصيدة ، وثلاث مقطوعات ، كان آخرها  
قصيدة " ارادة الحياة " و " نشيد الجبار " (٢)

وكان لهذه الجماعة اكبر الاثر في تعريف ابي القاسم  
للعديد من قراء العربية ممن يقرأون مجلتهم .

ويسرى الدكتور محمد عبد المنعم خلفا ، ان تأثر الشابي  
بهذه المدرسة كان واضحا في شعره ان أخذ فكرة قصيدة

---

(١) من رسالة بعث بها ابو القاسم لصديقه محمد الحلوي ، نشرت في مجلة الفكر  
التونسي ، أوردها ابو القاسم محمد كرو ، في كتابه آثار الشابي وصداه في  
الشرق ، ص ٣٥ ، ٣٦  
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥ .  
١٢٢ / ٠٠٠



- ارادة الحياة - من قصيدة لابي شادي عنوانها - النهضة اراده -  
وكذلك قصيدته - عذبت انت - ١٠٠٠ الح - تجاوب فيها مع قصيدة  
ابي شادي " عروس المأتسم " ومطلعها :

عذبة انت نفسي الخفاء وفي الجهد ر ، وفي الهجر يا اغاني الظلام

وانه تجاوب في موسيقاه في قصيدته " الصباح الجديد "

التي مطلعها :

اسكتي يا جراح أسكتي يا شجون

مع قصيدتين ، لابي شادي أولهما ، السوداع ومطلعها

انتهب يا شعاع نبخر قلبي الحزين

وثانيهما قصيدته " بعد الصيف "

اضحكسي يا رسال من هدير المياه

فقد تجاوب الشابي مع هاتين القصيدتين في الموسيقى والنص

كما تجاوب معهما كذلك الشاعر ابراهيم ناجي ، وكان الشابي وناجي  
معجبين بكلتا القصيدتين " (١)

امسا الدكتور محمد مندور فيرى ان ابا القاسم كان اقوى جماعة

" أو بطلو " طاقة يقول " اننا نستطيع ان نسلط شخصية ابي القاسم

في انه كان روحا نائمه ، ومن هذه الروح شعره الذي ربما

كان اقوى هذه الجماعة طاقه شعريه . وحدة عاطفية ، وثورة روح ،

وان تكن تلك القوة الضخمة قد ذهبت معظمها - لسوء الحظ - في

---

(١) د . محمد عبد المنعم خفاجي ، دراسات في الادب العربي الحديث ومدارسه

الحلقة الاولى ، دار الطباعة المحمدية بالازهر بالقاهرة ، ص ٢٨٥ .

مصارعة ذلك المرزوق المميت الذي عاجل هذا الشاعر ، وهو لا يزال  
فخر الشباب ، ولم يفارقه حتى قضى عليه . (١)

#### ٤ - تأثيره بشعراء المهجر :

كان ابو القاسم شديد الشغف بالقراءة ، فهو ان كان قد  
قرأ الادب العربي القديم من مصادر اوليه ، وقرأ الادب الاجنبي  
المرجم ، وقرأ ما انتجه شعراء ومدرسة "أوبللو" ، وما انتجته  
شعراء مدرسة الديوان ، وتأثر بكل ذلك ، أكتب على دراسة الادب  
المهجري ، وتأثر به ايضا ، فأنت تلمس عنده النقد اللاذع ، والحدب  
على الانسانيه المعذبه ، والسخرية المره بالحياة الراكدة ، وهذه  
اهم ما امتازت به المدرسة المهجرية .

ويرى بعض الدارسين ان تأثير جبران في الشابي كان واضحا  
حتى ان الاستاذ خليفة محمد التليسي ، ألف كتابا عنوانه " الشابي  
وجبران " واستشهد بالعديد من النصوص لكل منهما يثبت تأثر  
الشابي بجبران .

ويرى ان ثورة الشابي على شعبه الذي يراه غير جدير  
بالحياة في قوله :

لست يا شيخ للحياة بأهل انت داء يبيدنا وتبيده

وقوله :  
أيها الشعب انت طفل صغير لاعب بالتراب والليل منس

(١) د . محمد مندور ، الشابي روح ثائرة ، مجلة المجلة القاهرة ، ٦ يونيو

١٩٥٧ ، وردت في كتاب دراسات عن الشابي ، اعداد ابو القاسم كسرو

١٢٤ / ٠٠٠

ص ٩٦ .

انما هي مأخوذة من جبران القائل "والحياة عزم يرافق الشبية ،  
وجسد يلاحق الكهولة ، وحكمة تتبع الشيوخ ، اما انتم يا بني أمي ، فقد  
ولدتم شيوخا عاجزين ، ثم صغرت نفوسكم ، وتقلصت جلودكم ، فصرتم  
تقلبون على الاحوال ، وتترامون بالحجارة . " (١)

ويقول الاستاذ التليسي ايضا ان تأثر الشابي بجبران لم  
يقتصر على المضمون دون الشكل ، بل تعداه الى الشكل الفني والصفاء .  
يقول جبران :

" من يهوى النور فالنور يهواه "

ويقول الشابي :

ومن نأجت النور احلامه يباركه النور اني ظهر

ويقول جبران في غربته بين قومه " ثم التقى برعط من الشيوخ ،  
فيوثون نحوى بأصابع وثيقة قائلين : هو مجنون أضاع صوابه في مسارح الجن  
والغيبان . وذلك ما قاله اعداء الشابي فيه ، وهي عبارة جبرانية نظمها  
في نسق رائع .

وقد اضاع الرشاد في ملعب الجن فيا يؤسه اصيب بمن

ويرى كذلك ان التفني بالخطاب الذي كثر في شعر الشابي انما هو  
نغمة جبرانية ، وينتهي الاستاذ التليسي بنتيجة يقول " والمشابهة بينه وبين  
جبران اعظم من ان توحىها المصادفة او وقسوع الحافر على الحافر ، ولكنها  
المشابهة التي تتيحها التلمذة ، تلمذه من عكف على جبران " (٢)

والباحث يتفق مع الاستاذ التليسي في كثير مما قال ، ولكنني  
أحب ان اضيف ان كلا من جبران والشابي كانا تلميذين مخلصين

(١) حليفه محمد التليسي ، الشابي وجبران ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ،

الطبعة الثانية ١٩٦٧ ، ص ٤٨ .

١٢٥/٠٠٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٢ - ٥٤ .

للمدرسة الرومانسية ، فالتخني بالغاب والثورة والتمرد ، وتجيد الحياة والذاتية المفرطة في الشعر ، ليست خاصية في شعر جبران فحسب ، بل هي من مميزات المدرسة الرومانسية التي انتمى اليها كلاهما

كما ان الاستاذ ابو القاسم كرو ، أكد حقيقة اثر جبران البارز في الشابي ، وعرض نماذج لكلا الشعاعين تؤيد مذهبه .

قال جبران :

وما السعادة في الدنيا سوى شبح يرحى فان صار جسما ملّسه البشر

ويقول الشابي :

وما السعادة في الدنيا سوى حلم ناء تضحى لها ايامها الاعم

ويلاحظ ان صدرى البيتين متشابهان ، وان الشابي لم يغير سوى اللفظ الاخير ، وكذلك يبدو التشابه واضحا في عجز البيتين الا ان الشابي كان اعمق من جبران ، وأصدق تعبيرا منه للسعادة في واقع الناس . (١)

ولكن هل كان ابو القاسم بعد هذه الامثلة التي ساقها كل من الاستاذين التليسي ، وكرو ، تلميذا فحسب للمدرسة الرومانسية ، وان ما قاله لم يعد الا تكرارا لما قاله جبران أو نعيمه ، دون اصالة ودون ان يسكب في شعره من روحه وفننه ؟ دعوتنا نستمع الى ما قاله الدكتور درويش الجندي " وممن تأثر بسنزة المهجريين التصويرية خارج مصر والشام ، أبو القاسم الشابي

(١) ابو القاسم محمد كرو ، الشابي حياته وشعره ، ص ٥٨ .

التونسي ، ولكن صورته يخلب عليها الصدق والوضوح (١).

أما الدكتور محمد مندور فيقول في هذا المقام "وأنا بعد لا أنكر مما لا بد منه من ان الشابي قد طالع الكثير من الشعر العربي القديم والحديث ، بل من الاداب الغربية المترجمة الى اللغة العربية ومن هذه المطالعات ، تكونت ثقافته الشعرية والانسانية العسامة ، كما تثقت سليقته ولكن الذي انكره هو أن يكون ابو القاسم الشابي ، قد تأثر بأحد تأثرا مباشرا ، بقدر ما تأثر بطبعه الخاص وعبقريته الفريدة المتميزة ، وروحته الثائرة ، وصراعته الدائم مع ما شققت به حياته من آلام ووجع ونكران فضلا عن المرض القاتل الذي يصارعه في بطولية وتحسد حتى آخر رمق في حياته ، وانا لنحس في شعره روح الابطل الشهيد" (٢).

وبعد هذه هي عناصر تجربة ابي القاسم الشعرية : روحية طبعه ، رهف حسه ، قراءاته المتعددة للأدب بين العربي والاجنبي .

## ٢ - منزلته الشعرية :

أبو القاسم الشابي شاعر عبّر عن حسّه ، ولعلّه لم يتعمد ان يكون شاعرا ، انما ساقه اليه رهف حسّه ، وتوقد مشاعره ، مع اقتداره على التعبير وتمكّنه من نقل كل ما يعتلج في نفسه الى الاخرين ، فيشاركونه فيه .

(١) د . درويش الجندی ، الرمزية في الادب العربي ، مكتبة النهضة المصرية بالجالة ، ١٩٥٨ ، ص ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٢) د . محمد مندور ، مقال نشره ابو القاسم كرو ، في كتابه دراسات عن الشابي ص ٩٧ .

وكان أبو القاسم من زعماء التجديد في الشعر العربي ،  
يؤكد ذلك قول الدكتور مندور " انه كان اقوى جماعة أوپللو •  
وتجاوز أبو القاسم بشعره عند ود تونس ، ليصل الى مسامح  
القارئین في كل انحاء البلاد العربية ، ولعله الشاعر العربي  
الوحيد في شمال افريقيا كلها الذي يصل الى مثل هذه المرتبة  
ويسمو الى هذه المكانة •

ويرى بعض الناقدين ان الشابي لتونس كالمتمني للعسراق ،  
وكالمعري لسوريا ، وجبران للبنان ، وشوقي لمصر • (١)

واتفق الكثير من الادباء والنقاد العرب على تمجيد الشابي  
والاشادة بعبقريته ، فالدكتور أحمد زكي ابو شادي يقول " ان لابي  
القاسم الشابي روائع كثيرة ظفرت مجلة أوپللو ومجلتها بالقسط  
الاوفر منها ، وانه لتعصب المفاضلة بين قصائده هذه فجميعها  
يتسم بالجمال الفني الانيق بكامل عناصره ، ان شعر الشابي هو  
شعر العبقرية والتفوق ، فله قدسيه نورانيه يصعب تعريفها ،  
وسواء اديننا فجرها أو شرورها ، لانها على اختلاف منازلها تتألق  
بالجمال ، وتنم عن رسالة سامية ، وأبو القاسم الشابي هو احد  
أولئك الافذاذ العالميين الروح ، الذين لم يسهروا النقد الموضوعي  
فحسب ، من ناحية الطاقه الفنية القويه ، بل بهروا كذلك مقاييس  
المثالية الرفيعة ، من خلقية ووطنية وانسانية ، وكانت معجزتهم  
الازدواج بين هذه المزايا وفي الانسجام التام بينهما ، وهذا قلما

---

(١) ابو القاسم كرو ، ما يجب نحو الشابي ، مقال ورد في كتاب دراسات عن

الشابي للمؤلف نفسه ، ص ٨٧ •

يكون إلا لصفوة السهووين (١).

ويرى بعضهم ان الشابي كان شاعرا كاملا ، أحسب الجمال ،  
وأحسب الحياة ، وأحسب وطنه ، وأحسب الكون ، وأحسب الحرية ، وكان  
هذا الحسب ممتازا في شاعر ممتاز ونفس ممتازة ، فهو حسب  
يسمو فوق الالم ، وفوق الاضطهاد ، وفوق الجسد ، هو حسب  
يتخطى حدود تونس الى مصر الى الشام الى العراق ، فلا يلبث  
ان يكون انسانيا شاملا وعالميا فير محدود (٢).

وللشاعر المرحوم - عزيز أباظة - رأى في الشابي لا يقل عن  
آراء زملائه " ان الشابي ليس من الشعراء الذين يقذف بهم في  
هذه الدنيا ثم يحملون منها ، فلا تحسبهم هذه الدنيا ، ولكنه  
على النقيض من قلائل الشعراء الذين لا تستطيع الدنيا الا ان تؤمن  
حين يشرقون عليها ان شيئا ذا خطر دب فيها ، أو خلق في  
أجوائها " (٣)

### ابو القاسم شاعر ذو سمعة عالمية :

ترجم العديد من شعر الشابي الى الفرنسية ، ونقلت له  
مجلة "ابلا" الفرنسية ثلاث قصائد في أعدادها السادس والثلاثين

- (١) احمد زكي ابو شادي ، ابو القاسم الشابي ، مقال أورده ابو القاسم كرو  
في كتابه اثار الشابي وصداه في الشرق ، المكتب التجاري للطباعة  
والتوزيع والنشر ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٦١ ، ص ١٧٠ - ١٧٤ .
- (٢) ابراهيم ناجي ، اننا نبحث عن الشاعر الكامل كما نبحث عن المعجزة ،  
المرجع السابق ، ص ٢١٢ .
- (٣) عزيز أباظة ، البعث الجديد ، المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

والسابع والثلاثين والسادس والأربعين كما ترجمت بمضرم قصائد ،  
الى الانجليزية والسويدية ، وأصدر ابو القاسم محمد كرو كتابا  
عنه بالفرنسية . (١)

وهذا الشاعر الايطالي " قويدو ميدنييه " يناجي زملاءه  
الشعراء في كتابته " افريقيه " فاذا ما تحرك النخيل وداعتته  
الرياح ، فأنا لا أفكر الا فيك يا شابي ، أنت يا شابي كان قلبك  
يتألم ، ويتقطر عند رؤية الطبيعة ، وهي شائرة ، والبحر وهو  
متلاطم الامواج " (٢)

لهذا يرى بعض النقاد ، ان ابنا القاسم قد تجاوز حدود  
وطنه ، ليضعي شاعرا عالميا ، خاصة في اشعاره التي قالها  
في مرحلة نضجه الفني ، فهو مثل طافور ولامارتسين الذين  
يقولون ويكتبون ، لتستمع اليهم جميع امم العالم على اختلاف سنتهم  
وأجناسهم وأديانهم " (٣)

\* \* \*

- 
- (١) ابو القاسم محمد كرو ، دراسات عن الشابي ، ص ٤٢ .
  - (٢) ابو القاسم محمد كرو ، الشابي حياته وشعره ، ص ١٣ ، ١٤ .
  - (٣) ابراهيم ابورقعه ، حياة ابي القاسم الشابي ، مقال ورد في كتاب  
دراسات عن الشابي ، اعداد ابو القاسم كرو ، ص ٧٢ .
- ١٣٠ / ٠٠٠



## الفصل الثاني

### أهم أغراض شعره وخصائصه الفنية

طرق أبو القاسم العديد من أغراض الشعر قديمه وحديثه ،  
ولكن أهم القاسم كان ينأى بالشعر ان يكون أداة مدح يكبله لسادة  
القوم ، ليمثلهم وينال من اعطياتهم .

|                    |                   |
|--------------------|-------------------|
| لا أنظم الشعر أرجو | به رضا أمير       |
| بمدحة أو رشاء      | تهدي لرب السير    |
| حسبي اذا قلت شعرا  | ان يرتضيه ضميري   |
| لا أقرض الشعر أبغي | به اقتناي نوال    |
| الشعر ان لم يكن في | جماله ذا جلال     |
| فانما هو طيف       | يسعى بوادي الخلال |
| يقضي الحياة طريدا  | في ذلّة واعتزال   |

لذا خلا ديوان أبي القاسم من أية قصيدة في المدح .

أما الهجاء فلا يحتوى على أية قصيدة هجا فيها شخصا  
بمعينه ، بل تجد الكثير منها في هجاء شعبه ، أو هجاء أعدائه ،  
وقد سبق ذكر نماذج منها حين عرضت لموضوع - علاقة الشابي  
بشعبه - .

### الرشاء :

المباحث في ديوان أبي القاسم لا يجد فيه الا قصيدة واحدة

في الرشاء ، هي تلك التي رثى فيها والده .

وقد قدّم لها الشاعر بقوله " هي صرخة من صرخات النفس ،  
المملوءة بالاحزان ، والذكريات وشظية من شظايا هذا القلب المحطم  
على صخور الحياة ، قلتها في أيام الاسس التي تلت نكبتني بوفاة  
الوالد رحمه الله . (١)

ولهذا يعتبر الرثاء من اقل أغراض الشعر التي طرقتها الشعراء  
الا ان الدكتور شوقي ضيف يرى ان الشعراء كثيرا ما رثى نفسه ، يقول  
" لعلّ شاعرا عربيا لم يرث نفسه وبكيتها ، كما رثى في عصرنا نفسه  
وبكاهما ابو القاسم الشابي ، الذي وصف به مرض القلب ، وهو في  
رمان الشباب ، فعاش يبكي نفسه ويندبها ندبا حارا لا في مرثية  
أو مرثيتين ، وانما في ديوان حافل باللوان الشجي والاسس ، وصف  
فيه كيف أوصد المرض الابواب والنوافذ عليه ، فلم يعد يرى الاهاوتته  
وحفرته ، بل ان هذا الصير الذي لا بد وافد عليه ومنتته اليه اصبح  
يظلمه ، ان يرى فيه منجاته من أوصابه وآامه ، وهو يسمي هذا  
الصير " الصباح الجديد " وفيه يقول :

|                 |                |
|-----------------|----------------|
| أسكتي يا جراح   | واسكتي يا شجون |
| مات عهد النسواح | وزمان الجنون   |
| وأطلّ الصباح    | من وراء القرون |

فساعة الخلاص قد دنت ، وأن له ان يدفن آامه ، ويفرق  
أحزانه في خضم اللانهاية ، فقد دعاه الصباح ، ولم يعد الظلام  
يستطيع ان يلفّ جسده في ظلال الالم ، انه راحل وهو سعيد برحيله . (٢)

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ٩٥ .

(٢) د شوقي ضيف ، الرثاء ، سلسلة فنون الادب العربي - الفن الغنائي ، دار

المعارف ، ١٩٥٥ ، ص ٣٤ .

|                 |                  |
|-----------------|------------------|
| السوداع السوداع | يا جبال الهمم    |
| يا ضباب الاسى   | يا فجاج الجحيم   |
| قد جرى زورقي    | في الخضم العظيم  |
| ونشرت القلاع    | فالسوداع السوداع |

ومن أهم الأغراض التي طرقتها الشابي في شعره ، هو شعره في الحياة والموت وقد سبق التعرض له حين تحدثت عن فلسفة الموت عنده .

وشعره الوطني ، الذي ذكرت اطرافاً منه حين عرضت لموضوع - علاقة الشابي بشعبه - وهذا الشعر يزخر بالثورة على المستعمرين ، وفيه بحث شعبه على الثورة ويدعوه الى حياة كريمة ، وهو من أشهر شعراء أبي القاسم ، امتاز بالصدق والعنف والحدة ، مما جعل الدكتور شوقي ضيف يعتبره أصدق شعر وطني قاله شاعر عربي معاصر يقول : " وهذا الشعر السياسي أو الوطني كان منتشرًا في كل بلاد الشرق الاوسط : في مصر والشام والعراق ، ولكن شاعرا لم يبلغ في هذه البلدان ما بلغه الشابي في تونس من حدة الاحساس وعنفه ، حقا نجد عن حافظ والرصافي واضاربهما تعبيرا سياسيا أو وطنيا ستحدثا في لغتنا ، ولكننا لا نجد عندهما هذا الاحساس الحاد الذي يجعل الشاعر يحس في أعماقه آلام أمته وأوجاعها تلقا\* المستعمر الظالم ، فينتفض ويزار في وجه القاصب زئير العاصف ، على نحو ما يزار الشابي " (١)

(١) د . شوقي ضيف ، دراسات في الشعر العربي المعاصر ، ص ١٥١ ، ١٣٣/٠٠٠

ويبقى غرضان رئيسان ، أرى أن أعرض لهما في هذا الفصل هما  
شعر الطبيعة وشعر الغزل .

### ١ - شعر الطبيعة :

حين تصدى الشابي للطبيعة يصفها ، لم يقف منها موقف المشاهد  
يصف مناظرها الخارجية ، إنما تعمقها وشخصها ، وكثيرا ما ناجاها  
وحاورها ، فعلمته فلسفة الحياة ، وعلمته الطهر والنقاء ، ثم هو كثيرا  
ما لجأ اليها عندما أثقلت عليه الحياة ، وحين لم يفهمه أهلها ،  
فاعتبرها محرابه الذي يعتمد فيه ، ويهتدى فيها إلى أسرار الكون ،  
ومفاتيح الحياة ، والشابي في هذا يتفق مع اساتذة المدرسة الرومانسية  
من أمثال روسو ، وبيرون ، وشاتوبريان ، يرى الطبيعة مأوى ومسكنا  
لروحه وشاعره التي تأذت وتألمت ، وهو إذا أوى إلى أحضان الطبيعة  
إنما يفعل هذا زهدا في دنيا الناس ، وهروبا بمشاعره من أن  
تضطدم بحياة اليوم العادي ، فهو يرى أن النشوة التي تمنحها الطبيعة  
هي أجمل ما تمنحه كئوس الراح .

مالنا والكؤوس نطلب منها      نشوة ، والغرام سحر وسكر  
خلنا فلك فالربيع لنا سا      ق ، وهذا الغضا كأس وخمر  
نحن نغدو بين المروج ونحدو      ونغني مع النسيم المغني  
ونناجي روح الطبيعة في الكو      ن ، ونصغي لكونها المتغني

والشابي كثيره من شعراء الرومانسيه ، يلجأ للطبيعة كراهبة  
وبغضا للإنسان ، كان يجد في الجبال غذاء لشعوره ، وفي الغاب  
صدر مشعته ، وفي رؤيه المدن وسماضجيجها أذى لسمعه وبصره .

عشق الشابي الطبيعة ، ومنها استمد استعاراته وتشبيهاته ،  
يستشهد بها في ثنايا الكثير من قصائده ، فإذا وصف حبيبته فهي  
عذبة كالصباح ، وكالسماء الضحوك ، كالليلة القمر .

وفي قصيدته " ارادة الحياة " يدخل مع الطبيعة في حوار ،  
يتعلم منها القوة :

ودمدمت الريح بين الفجاج      وفوق الجبال وتحت الشجر  
إذا ما طمحت الس فاباة      ركبت المنى ونسيت الحذر

ثم يسأل الأرض " يا أم هل تكرهين البشر " ، فتجيبه :

أبارك في الناس اهل الطمخ      ومن يستلذ ركوب الخطر  
والعن من لا يمشي الزمان      ويقنع بالعيش عيش الحجر

وهو ان كان ناجس الريح ، وخاطب الأرض فقد همس في اذن الدجى  
سائلا :

سألت الدجى هل تعبد الحياة لمن اذيلته ربيع العسر  
فلم تتكلم شفاه الظالم ، ولم تترنم عذارى السحر

ولكن ما الذي اجابه ؟

وقال لي الغاب في رقة محببة مثل خفق الوتر

ألا ترى معي كيف كان الشابي يشرك الطبيعة في كل شأن من  
شئونه ، يدير معها حوارا . أبطاله الأرض والرياح والدجى والغاب ،  
كل يجيب عن سؤال ، لقد سخر الشابي الطبيعة لتوضح فلسفته ونظريته  
الى الحياة .

وهو اذا حزن يسقط احزانه على الطبيعة ، فهي تضحك لضحكه  
وتبكي لبكائه .

ما سكون المساء الا انين ونشيد الصباح غير نجيب

والشابي الذي عانى المرض ، وفكر كثيرا في الموت الذي سينتهي  
حياته رأى الصحراء ساهمة حزينة ، رآها مفكرة في الموت والحياة ، كما  
يفكر هو فيها ، نستمع اليه يقول " جمال الصحراء الذي يمتد أمامي  
جمال ساهم محمم ، ولقد يخيل اليّ أحيانا انه يفكر فيما وراء هذا  
العالم الصاحب الموار ، في معاني الفناء والموت والظلام ، لقد يبلغني  
ألوهم أحيانا ان احسبه نفسا شاعره سلوليه ، تساجي في حمنى  
سقام احلامها الحزينة الصامتة الموشحة بأربعة الموت. (١)

وهو في قصيدته النبي المجهول ، يود لو ان له قوة الطبيعة  
بمظاهرها المتعددة ، قوة رياحها ، وقوة شتائها ، قوة عواصفها ، وقوة  
اعاصيرها يكملها على رأس شعبه الذي تنكر له .

ليتني كنت كالرياح فأطوى كل ما يخفق الزهور بنحسي  
ليتني كنت كالشتاء أغمشي كل ما أذبل الخريف بقشري  
ليت لي قوة العواصف يا شعبي فالقي اليك ثورة نفسي

وحين اعتزل شعبه لجأ الى الطبيعة ، لتقوم سيولها بحفر رسمه :  
ثم تحت الصنوبر الناظر للخلو تخط السيول حفرة زمسي (٢)

(١) نصر لابي القاسم الشابي ، أورده محمد خليفه التليسي في كتابه الشابي وجبران  
ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .  
١٣٦ / ٠٠٠

من النماذج السابقة ، لاحظنا كيف شخّص الشابي الطيبة وجسما  
فاذا هي حبة ، ناطقة فيلسوفه ، واذا هي باكية حزينة أو ضاحكة  
مشرقة ، أو قوية جبارة .

والليل بكل ما فيه من جمال ورهبة ، من هدوء يبعث في  
النفس التأمل ، وفي الروح الاشرار ، ويشير في النفس الكعبة الخاف ،  
هذا الليل كان له مع ابي القاسم شأن :

أيها الليل يا أبا اليأس والاهوا ل ، يا هيكل الزمان الرهيب  
فيك تجشوعرائس الأمل العذ ب ، تصلي بصوتها المحبوب  
فيشير النشيد ذكرى حياة حجبها غيم دهر كيب  
انها يا ليل ذرة صعدت للكون ، من سوطي\* الجحيم الغضوب  
فيك تنموزنا بق الحلم العذ ب ، وتذوي لدى لهيب الخطوب  
يهجع الكون ، في طمانينة العصفور ، طفلا بصدرك الغريب (١)

لقد كان ابو القاسم يحفل بالصورة الفنية ، فيقيمها لوحة يتخيلها  
الذهن ، وتكاد تراها العين من مثل قوله :

فيك تجشوعرائس الأمل العذ ب ، تصلي بصوتها المحبوب  
وقوله :

يهجع الكون في طمانينة العصفور ، طفلا بصدرك الغريب

هذه هي الصور التي حفل بها ديوان الشابي ، والتي تمتع  
من اهم خصائصه الفنية .

(١) ابو القاسم الشابي ، اغانى الحياة ، ص ٢٥ .

وتجد روعة الصورة في قصيدته " الجنة الضائعة "

كم من عهد عذبة      في عدوة الوادي النضير  
كانت أرق من النسيم      ومن أفاريد الطيور  
وألذ من سحر الصبا      في بسمة الطفل الضير  
أيام كانت للحياة      حالة المرض المظير  
وظهارة الموج الجميل ، وسحر شاطئه المنير  
ووداعة الصفور ، بين جدارل المساء<sup>(١)</sup> النسيير

فأنت واجد في هذه الابيات التي بجانب الصور المتلاحقة ،  
رنين جرس العبارات المذب ، وفيها رقة تتجرع من نبيل عاطفه واحساس  
ثم ان اللفظ على قدر المعنى ، فلا حشو ولا زيادة .

والطبيعة في شعره لم تغفر بقصائد منفردة ، فلا تجد في  
ديوانه قصيدة بعينها يصف فيها غابة أو نهرًا ، أو اشراق الشمس ،  
أو أفول نجم ، بل نجد ذلك في ثنايا قصائده على تعددها ، ومهما  
اختلفت افراضها . ولعل القصيدة الوحيدة التي خصصت لذلك ، قصيدته  
من " أغاني الرعاة " (٢) . وهذه القصيدة من أفنى قصائد الشابي  
بالصور الجميلة المعبرة ، وفيها تتجلى قدرة الشاعر الموسيقية ، فأنت حين  
تسمها تطرب لالوان ثلاثة من الفن : تطرب للشعر المذب ،  
والموسيقى الطرية ، والصورة الجميلة ذات الالوان الخلابية .

(١) ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص ١٤٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٢ .



يقول :

أقبل الصبح يغني للحياة الناعسة  
والربى تحلم في ظل الفصون المائسة  
والصبا ترقص أوراق الزهور اليابسة  
وتهادى النورني تلك الفجاج الدامسة

ألا ترى روعة الصورة ، ألم تطرب لفتاة الصباح ، يردده للحياة  
السنانة التي لم تكند تصحو من نومها ، ألا تحس معي جمال الربى  
ترف عليها ظلال الفصون الرائحة الغادية يغازلها النسيم ، والصبا  
ذلك النسيم المحظوظ الذي تغنى به شمراء العربية في مختلف  
عصورهم ، ألا تراه يحرك أوراق زهور بيست ، والنور هل كان ساظما  
في ساعات الصباح الاولى ؟ لا بل كان يسير متهاوبا ، ينفني  
الظلام ويبدد الحلكة .

أقبل الصبح جميلا ، يملأ الأفق بهاه  
فتمطى الزهر والطير وأمواج الميساه  
قد أفاق الصالم الحي وغنى للحياه  
فأفريقي يا خرافي ، وهلمسي يا شياه

لقد اجاد شاعرنا حين صور بأسلوب أخاذ طلوع الفجر ،  
وبزوغ الشمس وتنفس الحياة ، ودييب الناس ، واستقبالهم الحياة  
باشراقة وأمل ، وهو يعتمد ذلك ليصور لنا كيف استقبلت الطيور  
والزهور والامواه الفجر ، وفنت له ، صورة جميلة يتخيلها القارىء  
كأنها تدب أمامه ، لو سمعها رسام اقنم بتحويلها من صورة لفظية

تسميها الاذن وتطرب ، ومعها العقل فيكبر الطبيعة ويسجد للخالق  
الى صورة مرئية تراها العين ويدركها الذهن .

واتمني يا شياهي بين أسراب الطيور  
وامثلي الوادي ثفا\* ومراحا وحبـــــــــور  
واسمي همس السواق ، وانشقى عطر الزهور  
وانظري الوادي يفشيه الضباب المستنير

ويستمر الشاعر فيقيم صورة جميلة له ولخرافه تتبعه في الوادي  
بين أسراب الطيور ، وهمس السواقي .

وهكذا يستمر الشاعر في مقاطع القصيدة العشرة ، وأبياتها  
الاربعة يرسم في كل مقطع ، وفي كل بيت صورة جميلة تبين ما فطرت  
عليه ذاته من خيال مرهف ، نستمتع اليه يقول :

واسمي الريح تغني في شمابخ الجبال

ألم يجعل الشاعر الريح تغني ؟ لقد أضفى على الريح

الحياة ، ومنحها حق الفناء .

والشاعر الذي يدب التفكير ، ويظيل التأمل في الكون وأسراره

كأنني به قد أراد ان تشاركه شياحه وخرافه تفكيره .

وامضي الاعشاب والافكار في صمت الظلال

والشابي الذي لا يلبث ان يعمر قلبه السرور ، الا ليكدره

الحزن يخاطب شياحه قائلا :

لن تملي يا خرافي في حمى الغاب الظليل

فزمان الغاب طفل لاعب ، عذب ، جميل

وزمان الناس شيخ عابس الوجه هيل

انظر الى الصورة ، ألم يجسم الشاعر " زمن الغاب " ويجعل  
منه طفلا صغيرا ؟ وزمن الناس فيجعل منه شيخا عابس الوجه هزيل  
انها القدرة على التصوير والتجسيم التي امتاز بهما الشاعر .

وتجد عند الشاعر قدرة بارعة على حسن التمييز بأسلوب شيق ،  
لقد عبر عن وقت العودة قبل الغروب بقوله :

فاذا طالت ظلال الكلا الغض الضئيل

فهلمي نرجع الصمى الى الحي النبيل

لقد عبر الشاعر بطول الظلال عن الوقت قبيل الغروب ، عبر  
عنها بصورة جميلة ابتدعها خياله ، صورة الكلا وقد طالت ظلاله .

ويعد عمل تعجب اذا قرر أحد الناقدين ان هذه القصيدة  
" هي أعمق شعر الطبيعة في الادب العربي " (١)

## ٢ - الغزل :

اختلف كثير من الدارسين للشابي ، حول حقيقة حبه ، فهناك  
من يرى ان الشابي قد أحب حبا حقيقيا ، وان هناك فتاة تبلسـت  
فؤاده وهام بها ، ومن هؤلاء أبو القاسم محمد كسروالذي يقول " أن  
قصة حب الشابي لم تصرف فصولها بعد ، ولكنه مع ذلك مقتنع كل  
الاقناع بأن الشابي أحب في حياته حبا حقيقيا صادقا ، وأنه أغرم  
بتفأة معينة غراما عنيفا مشهورا ، وبأن تلك القصائد الغزلية الحسان

(١) خليفه محمد التليس ، الشابي وجبران ، ص ٧٩ .



أما صديقه الأستاذ محمد الحليوي يقول " ان الشابي أحب  
المرأة كجنس ، وليس عناك واحدة بعينها ودليله ان الشاعر لا يذكر  
امرأة مخصوصة ، ولا واقعة بعينها ، وانما يذكر المرأة والحب ، ويسبح  
عليها من روحانيته العميقة كل المعاني الرقيقة " (١)

ويرى الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ان حب الشابي كان  
حبا عذريا " وقد ظهرت هذه النزعة الصوفية في الحب عند  
شعراء " أويللو " وأخذوها تيارا عاطفيا ، لتمثيل فلسفتهم العاطفية  
المملوطة بالحب والحرمان والالم والحنان والضعف والارق ، فالحنان  
عندهم متعة للروح لا للجسد ، وهذه نزعة الرومانتيكيين السائدة فُتن  
بها شعراؤها ، وقصيدة الشابي " صلوات في هيكل الحب " من أمثلة  
هذه الظاهرة الفنية " (٢)

والاستاذ محمد خليفة التليسي اكثر من اهتم بموضوع المرأة  
في شعر الشابي ، حيث أفرد له فصلا في كتابه " الشابي وجبران "  
وفيهِ يرى ان الشابي لم يحب في حياته امرأة معينة ، وانما كان  
يتخنى بالمرأة كمثل أعلى ، دفعه الى ذلك ما لاحظته من انحطاط  
شأن المرأة في الادب العربي ، وانها لم تكن خلال العصور الا كقطعة  
أثاث تتقل من بيت أبيها الى بيت زوجها ، لا يهتم بها الرجل الا  
كسند ومقمة ، والشابي الذي كان رومانسي الاتجاه والمذهب ، احب  
النساء ونظر اليها نظرة العفة والتصوف فاذا المرأة في منزلة المعبودة ،

(١) محمد الحليوي ، مع الشابي ، (سلسلة كتاب البحث) تونس ١٩٥٥ ، ص ٢٤ .

(٢) د . محمد عبد المنعم خفاجي ، دراسات في الادب العربي الحديث ومدارسه ،  
ص ٢٧٨ .

حاول الشابي بهذا ان يقبل عشرتها ، وان يسمو بها عن جسد يحس  
ويجس ، الس روح طاهرة تحمل في طياتها أنبل المصاني ، فهي الام  
والشقيقة والصديقة . وفيها تتمثل مصاني الاسومه الرؤومة ، فهو يقول  
"شعر الشابي صادر عن نفس محرومة ، فلا يتنفس فيه الا الشوق والحنين  
الى تلك التي تنقذه من جهامة أيامه ، ورتابتها الممله ، ولذلك  
اجدني من القائلين بأنه كان يتغنى بالمرأه كمثل أعلى ، لا امرأة  
سعيدة" (١)

والباحث يرى ان ابا القاسم قد يكون أحب فتاة بمينها ، وهام  
بها حبا ، ومرجعي في ذلك ديوان ابي القاسم نفسه ، الذي ضم  
العديد من القصائد الغزلية التي عبرت عن لحظات سعادة عاشها  
الشاعر مع حبيبته ، ولحظات بؤس خلفها موتها .

فهو يخاطبها قائلا :

أنت ما أنت ؟ أنت رسم جميل      عبقري من فن هذا الوجود  
فيك ما فيه من فموض وعتق      وجمال مقدس معبود  
انت روح الربيع تختال في الدنيا ، فتتهز رائعات الورد  
كلما ابصرتك عناي تمشين      بخطو موقّع كالنسيب  
خلق القلب للحياة ، وف الزهر في حقل عمري المجرد

ثم يخاطب الحب ويعتبره اكثر من أقرض مضجعه ، وأذوى جسده  
وأسقم بدنه :

---

(١) محمد خلفه التليسي ، الشابي وجبران ، ص ١١٧ .

أيتها الحب أنت سر بلادي      وهمومي وروعتي وعنائتي  
ونحولي وادمعي وعذابي      وسقائي ولوعتي وشقائتي

قد يقول البعض ان مثل هذه النماذج الشعرية ، لا تقم الدليل على ان الشابي أحب امرأة بعينها ، فلم يهتف باسم هند أو نغم ، كما عتف بها شعراء العرب من قبل ، وقد يكون في ذلك دليلا على انه يخاطب المرأة كجنس . ولكن لنستمع اليه بقول اثر وفاة حبيبته

... ولا يعقل ان تصوت المرأة كجنس .

بالامس قد كانت حياتي كالسماء الباسمه  
والبوم قد أمست كاعساق الكهوف الواجمه  
قد كان لي ما بين أحلامي الجميلة جدول  
يجرى به ماء المحبة طاهرا يتسلسل  
هو جدول قد فجرت ينبوعه في مهجتي  
أجفان فاتنة أرتيتها الحياة لشقوتي  
أجفان فاتنة تراءت لي على فجر الشيب  
كمروسة من غايات الشعر في شفق السحاب  
ثم اختفت خلف السماء ، وراء هاتيك القيم  
حيث العذارى الخالدات يسنن ما بين النجم  
ثم اختفت أوام ، طائفة بأجناح المنون  
نحو السماء ، وها أنا في الارض تمثال الشجون

ومهما يكن من أمر ، أكان الشابي أحب المرأة كجنس ، أو أحب امرأة بعينها ، فإن ديوانه يحتوي على قصائد غزلية جميلة عذبة .

لعل أشهرها قصيدة - صلوات في همكل الحب - التي حازت إعجاب  
كل دارسي شعر أبي القاسم ، ويروى أن الدكتور أحمد زكي أبو شادي  
حين انتهى من قراءة هذه القصيدة ، وكان الشابي قد أرسلها لتشر  
في أعداد مجلة "أوبللو" صاح " هذا هو الشعر الذي نشدناه ،  
ونشده من قبلنا ، فضلوا الطريق وصللناه ، حتى ظفربه الشابي  
وحده من دوننا ، وكان أبو شادي يرقص طربا ، ويهتز حبورا وهو  
ينشدها " (١)

عذبة أنت كالطفولة      كالأحلام كاللحن كالصباح الجديد  
كالسماء الضحواك كالليلة القمرية      كالورد كابتسام الوليد  
يالها من وداعة وجمال      وشباب منغمم أمم لود

وبعد أن يصفها بالطهارة والوداعة ، يقول :

فتمايلت في الوجود كلحن      عبقري الخيال حللو النشيد  
خطوات سكرانة بالاناشيد      وصوت كرجع ناي بعيد  
وقوام يكاد ينطق بالالحن      في وقفة وقسم سود  
كل شي \* موقع فيك حتى      لفتة الجيد ، واهتزاز النهود  
فجيبته نغم ، ولحبيبي      وشيتها ايقاع موسيقي عذب

ثم يخاطبها

انت ٠٠٠ انت الحياة في رقة الفجر في رونسق الربيع الوليد  
انت ٠٠٠ انت الحياة كل أوان في روا\* من الشباب جديد  
إنت ٠٠٠ انت الحياة فيك وفي عينيك آيات سحرها الممدود  
انت دنيا من الاناشيد والاحلام والسحر والخيال العديد

(١) طه عبد القادر سرور ، أبو القاسم الشابي ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٠٥ .



انت فوق الخيال والشعر والفن ، وفوق النهس وفوق الحدود  
انت قدسي ومعبدي وصباحي ، وربيعي ونشوتي وخلودي (١)

فهني كل شي\* في عالم الشاعر ، هي حياته العذبة الجميلة  
الصادقة ، لقد ارتفع بها الى عالم من المثل والاحلام ، فهني ليست  
من عالم الناس ، ثم يقسول :

يا ابنة النور انني أنا وحدي      من رأى فيك روعة المعبود  
فدعيني اعش في ظلك المذب      وفي قرب حنك المشهود  
عشة الجمال والفن والالهام      والظهر والسنى والسجود

وحين عرض الدكتور عبد القادر القط لهذه القصيدة ، قرر أن  
الشابي شاعر رومانتيكي ، وشعره يمثل كل خصائص الرومانسية ، ففيه  
حدة الماطفه والمبالغة والانفعال ، والانطلاق في التصيير من الاحساس  
الى ابعاد فاية ، ولعلّ أوضح مثال لهذه التهمة قصيدته " صلوات في  
هيكيل الحب " بضرعتها التي يحمل العنوان شيئاً كثيراً منها " (٢)

ومن جميل فنزله الملي\* بالصور الغنية التي تتوالى الواحدة بعد  
الاخرى في خصوصية عجيبة ، تمثل صيد ابي القاسم الفني ، الذي لم يتح  
له الزمان ان يفيض بأنساءه ، وانما تدفق سيالا لا يجيش بالحياة وكأنما  
الشاعر كان يسابق الزمن فحشد كل ذخيرته فيما استطاع ان ينظمه  
في حياته القصيرة .

(١) ابو القاسم الشابي ، افاني الحياة ، ص ١٢١ - ١٢٣ .

(٢) د . عبد القادر القط ، مجلة الاديب اللبنانية ، س ١٢ ، ج ٣ (مارس ١٩٥٣)

وبنى الليل والربيع حوالينا من السحر والرؤى والسكون  
معبدا للجمال والحب شمريا ، مشيدا على فجاج السنين  
ممبدا ساحرا ، مباخره الزهر ، على الصخر ، والثرى والفصون  
كل زهر يصوع منه اريج من يخور الربيع ، جم الفنون  
ونجم السماء فيه شموع أوقدتها للحب روح القسرون

وهذه المشاهد الجميلة التي يراها في عيني حبيبته :

|                               |                           |
|-------------------------------|---------------------------|
| أى دنيا مسحورة ، أى رؤيا      | طالعتني في ضوء هذى العيون |
| زمر من ملائكة الملائكة الأعلى | يفنون في حنو حنون         |
| وصبايا رواقص يتراشقن          | بزهرة التفاح والياسمين    |
| في فضاء مورد حالم ساه         | أطافت به عذارى الفنون (١) |

هذا الحب الذى عاشه الشابي هو حب رومانسي ، انه حب  
لذات الحب ، لا شيء آخر ، ومن الرومانسيين من لا يحب الا ليدمى  
بالحب قلبه ، مستعذبا في سبيله العذاب يقول موسيه " اى الهسه  
الشمر ، ما يهمني من موت أو حياة ؟ انني احب وأريد ان يشحب لوني  
أحب وأريد العذاب ، أحب واهب عبقريتي جزاء قلبه ، أحب وأريد ان  
احس على خدي فيض نبع من الدموع لا يفيض" (٢)

وطبيعي ان تحتل المرأة في ذلك الادب مكانا رفيعا ، لم تظفر  
بمثلها من قبل ، فقد ادى السمو بالعواطف ، والصدق فيها ، السنع  
من تقديس المرأة ، والاشادة بها ، والخضوع لسلطانها ، ولم يكن

(١) ابو القاسم الشابي ، افاني الحياة ، ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) محمد غنيمي هلال ، الرومانتيكية ، ص ١٤٧ . ١٤٨ / ٠٠٠

خضوعهم آية خنوع وضئف ، بل كان مصدره صدق العاطفه .  
واكد حقيقة رومانسية الحب عند الشاعر - الدكتور احسان عباس -  
حين عرض لقصيدة الشابي - ايتها الحاله بين العواصف - وفيها يقول :

|                                |                         |
|--------------------------------|-------------------------|
| انت كالزهرة الجميلة في الغاب   | ولكن ما بين شوك ودود    |
| والرياحين تحسب الحسك الشبر     | والدود من صنوف الورود   |
| فافهمي الناس .. انما الناس خلق | مفسد في الوجود غير رشيد |
| والسميد السعيد من عاشق الليل   | فربما في اهل هذا الوجود |
| ودعهم يحيون في ظلمة الاسم      | وميشي في طهرك المحمود   |
| كالملك البري ، كالوردة البيضاء | كالموج في الخضم البعيد  |
| كإفاني الطيور ، كالشقق الساحر  | كالكوكب البعيد السعيد   |
| كتلوج الجبال ، يفمرها النور    | وتسمو على غبار الصعيد   |
| انت تحت السماء روح جميل        | صافه الله من عيب الورود |
| وبنو الارض كالقُرود ، وما اضيق | عطر الورود بين القُرود  |
| انت من ريشة الاله ، فلا تلقي   | بفن السما لجهل العبيد   |
| انت لم تخلقي ليقربك الناس      | ولكن لتعبدى من بعيد (١) |

ويرى الدكتور احسان عباس ، ان هذا الشعر مدائي ، وأن  
رومانتيقية الشاعر سلبيه لا نرى في الناس الا الشوك والدود والفساد (٢)

وتظهر رومانسية الشاعر واضحة في البيت الاخير من القصيدة :

- 
- (١) ابو القاسم الشابي ، افاني الحياة ، ص ١٥٥ .  
(٢) احسان عباس ، فن الشعر ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٩ ، الطبعة  
الثالثة ، ص ٢٤٧ .

انت لم تخلفي ليقربك الناس ولكن لتعبدى من بعيد

فهو لا ينشد الحب بغية ملذات الحس ، ومتع الجسد ، وهو في هذا يتفق مع فكتور هوجوزيم الرومانسية حين يقول مخاطباً حبيبته " اني احبك حبا صادقا ، وأأسفاه اني احلم بك حلم الاعمى بالضوء ، سيدتي اصغ اليّ : فندى احلام لا عداد لها ، احبائه من قريب ومن بعيد ، وفي جوف الظلام ، ولا أجرؤ على لمس طرف اصبعك . " (١)

ولكن هل احب الشاعر حبا رومانتيكيا فحسب ، الا يوجد في شعره ما يصور متعة جسدية ؟ لقد اجبت على هذا السؤال حين عرضت لرأى الشاعر " في المرأة في الادب العربي " . . . . .

وبعد فالقارى لديوان الشابي ، يلاحظ ان جانب رومانسيته المحببه وصورته الفنية المعبرة ، وجمال الموسيقى ، يلاحظ وحدة القصيدة العضوية وسهولة اللفظ . . .

\*\*\*

(١) محمد غنيمي هلال ، الرومانتيكية ، ص ١٤٦ .

## القصائد

لعلّ ألسن ما يواجهه الباحث حين يتعرّف لدراسة الشابي ،  
عزّو الضمور . في كثير من المواقف ، عنده ، ولكن هذا الضمور ،  
سرعان ما ينجلي أمام الوقفه المتأمله العميقة ، ومن جوانب هذا  
الضمور ، قصائد كثيرة تنفّس بها الشاعر للحياة ، وفلّح لها ،  
وشغف بمتعتها ، وقصائد أخرى استعجل فيها الموت ، وكفّاه  
بالصباح ، الذي يشرق فيزيل دجس الليل ، ويبدد حلكته ، فالموت  
عنده اشراقه تبيد ظلمات الحياة ، فالحياة اذن مظلمة مكفهسة  
قاسية ، ومثل هذه القصائد تشير السؤال التالي : هل كان ابو  
القاسم عاشقا للحياة ، أم كان مبهتما لها ؟ ووصلت الى نتيجة  
أن عشق الحياة هو مبدأ أبي القاسم ، وان كان قد استعجل  
الموت ، انما استعجلته اليه محن شديدة عانها : الموت الذي  
ألمّ بكل حبيب لديه ، المرض الذي كمن في قلبه ، الشعب الذي  
وقف ضده وحراره . وقادته التي هذا الموقف ايضا رومانسيته  
التي وفدت اليه من روافد عدّه .

ثم هناك ضمور آخر جللّ أبا القاسم ، هو موقفه من  
شعبه ، فهناك القصائد التي عبّرت عن حبه لشعبه ، وشغفه به ،  
تمثلت في العديد منها دعوة صارخة انبعثت من نفس حسّاسه  
صادقه ترجوا الخير له ، ثم تلك الصرخات التي وجهها في  
قصائد كثيرة منذرا المستعمرين مهتدا اياهم بشورة هذا الشعب  
... . ومع ذلك فأنت واجد في ديوانه الكثير من القصائد التي  
يظنّ فيهما الشاعر على هذا الشعب ، ويتمنى لو يكون اعصارا  
تدمرا يودي به ، وفأسا يجتثك بها جذوره ، وقصائد أخرى

يتسم فيها شعبه بالجنون ، وانهم ليسوا أمملا للحياة . هذه  
القصائد تضع الباحث أمام استفهام ملح ، الى اين ذهب أبو  
القاسم في علاقته مع شعبه ؟ هل هو من محبيه أم هل هو  
من مبغضيه ؟ ورأيت ان الشاعر هو مع الشعب واليه ، وأن  
نقته على شعبه نبعت من حرصه عليه ، حرص ان يكون قويا  
شجاعا رافضا الظلم بعيدا عن العجز ، وأبى الشعب الا ان يستكين  
ويخضع ، ولكن الشابي فيما أرى جانبه التوفيق عين سدد سباهه  
الى شعبه ، لأن الثورة لا يفجرها ظلم وقع ، وحيف حصل ، انما  
يفجرها وعي ونضج ، وهذه مسئولية الفئة الواعية النابهة فسي  
المجتمع ، وأنا لا يمكن ان تكلف نفسا الا وسعها . وقضية الشاعر  
عاطفية ، لا تبررها الا رومانسيته التي شربت من المجتمع وأوت الى  
الغاب تناجيه وتحاوره ، وأبعدت عن الشعب تعلمه . وقد يكمن  
سبب أخسر ، هو اعتلال صحته ، الذي أضر على سكون اعصابه  
فجعله ضيقا برما ، لا يستطيع المحاوره والاقناع .

وأخطر ما يواجهه الباحث في ادب الشابي هو موقفه من  
القديم الذي تبدى في كتابه " الخيال الشعري عند العرب " ،  
والذي اتهم فيه خيال العرب بالضحالة والقصور عن الابداع ،  
واتهم الفكر العربي بالمادية والسطحية . ورأى أن ادب العربي  
القديم وان كان كثرنا نرجع اليه كلما دعت الحاجة ، الا أن اعجابنا  
به يجب ان لا ينقلب الى تقديس ثم جمود . ويرى ان الادب  
العربي قديما عبر عن حياتهم أحسن تعبير . ونحن في حاجة  
لادب يعبر عن ذواتنا وقضايانا المعاصرة . وما يؤخذ على الشابي  
في هذا المجال هو نبرته الخطابية العاليه التي اتسم فيها

اسلوبه حين عرض لهذا الموضوع . ووقفت في بحثي ووقفه طويله عند هذه المشكله وناقشتها ، وأحب أن أضيف أن رغبة الشابي الملحة في التجديد ، وقصر عمره الذي لم يتح له المزيد من رسو القدم في دراسة الادب العربي القديم ، هي التي عصفت به ليقف هذا الموقف ، ولكن هذا لا يعني ان كتابه خلا من كثير من القضايا الجديرة بالدراسة والاهتمام . ولعل أهمها ضرورة ان يكون لنا أدب معاصر يعبر عن ذاتنا ويخوض في اعماق واقعنا ، يبين العيوب ، لينقد ويوجه .

ثم موقفه من المرأة ، حين خطب عليها رد ١٤١ ملاً فكيسا وسما بها الى عظام من المثل والاحلام ، وان كنا مع الشابي ، نقر أن المرأة نصف المجتمع ، وهي أمه التي فذته بلبانها ، وأفرقت عليه من عنانها ، الا اننا نرى ان المرأة انسان ، لها حسنها ولها عيوبها .

تم بحمد الله

\* \* \*

المراجع

- ابراهيم السامرائي ، نصوص ودراسات عربية وافريقية في اللغة والتاريخ والادب ، وزارة الاعلام ، مديرية الثقافة العامة العراقية سلسلة الكتب الحديثة ، دون تاريخ .
- احسان عباس ، فن الشعر ، نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٥٩ .
- ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، القاهرة ، دار الكتب الشرقية الطبعة الاولى ، ١٩٥٥ .
- ابو القاسم الشابي ، الخيال الشعري عند العرب ، الشركة القومية للنشر والتوزيع ، تونس ١٩٦١ .
- ابو القاسم الشابي ، الادب العربي في العصر الحاضر ، مقدمة ديوان الينبوع ، احمد زكي ابوشادي ، الطبعة الاولى ١٩٣٤ .
- ابو القاسم محمد بدرى ، الشعراء المتشابهان ، الشابي والتيجاني دار المعارف بصرى ، ١٩٥٩ .
- ابو القاسم محمد كرو ، الشابي حياته وشعره ، منشورات دار مكتبة الحياة ، الطبعة الثانية ١٩٦٠ .
- ابو القاسم محمد كرو ، آشار الشابي وصداه في الشرق ، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٦١ .
- ابو القاسم محمد كرو ، دراسات عن الشابي ، دار المغرب العربي تونس ، دون تاريخ .
- خليفه محمد التليسي ، الشابي وجبران ، دار الثقافة بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٦٧ .



- خير الدين الزركلي ، الاعلام ، ج ٦ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٥ .
- درويش الجندى ، الرمزية في الادب العربي ، مكتبة النهضة المصرية  
بالفجالة ، ١٩٥٨ .
- رجاء النقاش ، ابو القاسم الشابي ، شاعر الحب والثورة ، دار  
القلم بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ١٩٧١ .
- زين العابدين السنوسي ، ابو القاسم حياته ، ادبه ، تونس ١٩٥٦ .
- سليمان ربيع ، محاضرات القاها على طلبة السنة الاولى للماجستير  
في جامعة الازهر ، للعام الدراسي ١٩٧٢/١٩٧٣ .
- شوقي الجمل ، تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ، مكتبة الانجلو  
الصريه ، ١٩٧١ .
- شوقي ضيف ، دراسات في الشعر العربي المعاصر ، دار المعارف ،  
الطبعة الثالثة ، دون تاريخ .
- شوقي ضيف ، الرثاء ، سلسلة فنون الادب العربي ، الفن الغنائي -  
دار المعارف ١٩٥٥ .
- طه عبد الباقي سرور ، ابو القاسم الشابي ، القاهرة ١٩٥٨ .
- عبد الحميد مسعود الجزائري ، المغرب العربي وكفاحه ، القاهرة  
دار الجامعة للطبع والنشر ، دون تاريخ .
- عبد اللطيف شرارة ، الشابي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٧٣ .
- عمر فروخ ، شاعران معاصران ، ابراهيم طوقان ، ابو القاسم الشابي ،  
بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٥٤ .
- محمد الحليوي ، مع الشابي ، سلسلة " كتاب البحث " تونس ١٩٥٥ .

## الفهرس

| صفحة    |  |
|---------|--|
| ٥       | المقدمة  |
| ٧ - ١١١ | الباب الاول  |
| ٨ - ٢٠  | <u>الفصل الاول</u> : بيثة ابي القاسم الممامه               |
|         | تونس تحت وطأة الاحتلال الفرنسي                             |
| ٨       | (١) قصة الاحتلال   |
| ١١      | (٢) سببر الاحتلال  |
| ١٣      | (٣) تونس بين انياب الذئاب                                  |
| ١٥      | (٤) اعتداء فرنسا على السلطة القضائية التونسية              |
| ١٦      | (٥) فرنسا تعمل على نحو الروح القومية ومحاربة اللغة العربية |
| ١٨      | (٦) فرنسا تهمل الناحية الصحية في القطر التونسي             |
| ٢١ - ٣٩ | <u>الفصل الثاني</u> : بيثة ابي القاسم الخاصة               |
| ٢١      | (١) مولده ونشأته   |
| ٢٢      | (٢) ثقافته   |
| ٢٣      | (٣) ابو القاسم الشابي كان يجهد اللغات الاجنبية             |
| ٢٤      | (٤) كان ابو القاسم محبا للمطالعة                           |
| ٢٥      | (٥) مراحل حياته الثقافية                                   |
| ٢٦      | (٦) ترعسه الحركة الطلابية المنادية بالاصلاح                |
| ٢٦      | (٧) حبه  |
| ٢٧      | (٨) زواجه  |
| ٢٨      | (٩) وفاة والده وما سببته له من احزان                       |
| ٣٥      | (١٠) الشابي يرفض العمل بالوظائف الحكومية                   |
| ٣٦      | (١١) مرضه ووفاته   |

- محمد عبد المنعم خفاجي ، دراسات في الادب العربي الحديث  
ومدارسه ، الحلقة الاولى ، دار الطباعة المحمدية بالازهر ، القاهرة  
دون تاريخ .
- محمد غنيمي هلال ، الرومانتيكية ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ،  
دون تاريخ .
- نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، منشورات مكتبة النهضة  
بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٦٧ .
- نعمات احمد فؤاد ، شعب وشاعر ، ابو القاسم الشابي ، مؤسسة  
الخانجي بصر ، ١٩٥٨ .
- يوسف سعد دافر ، مصادر الدراسة الادبية ، بيروت ، ج ٢ ،  
١٩٥٥ .

#### الدوريات

- عبد القادر القبط ، مجلة الاديب اللبنانية ، س ١٢ ، ج ٣ ، مارس  
١٩٥٣ .